الاستشراق

في

ميزان نقد الفكر الإسلامي

دكتور أحمد عبد الرحيم السايح



الدار المصرية اللبنانية



الاستشراق

فى

ميزان نقد الفكر الإسلامى

الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع: ٧٠٣٥ / ١٩٩٦
الترقيم الدولى: 2 - 276 - 270 - 977.
طبع : **آمون**
العنوان: ٤ فيروز - متفرع من إسماعيل أباظة
تليفون: ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى : ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م

الاستشراق

فى

ميزان نقد الفكر الإسلامى

دكتور أحمد عبد الرحيم السايح

الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول محمد الصادق الأمين. وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

فإن الاستشراق أصبح علما له مدارسه المتعددة، ومناهجه المختلفة، والتى تسعى جميعها إلى محاولة اختراق الفكر الإسلامى.

والاستشراق منذ نشأته وضع نفسه فى خدمة الأهداف المشبوهة والتى تعمل لإذابة المسلمين وانسلاخهم عن شخصيتهم الإسلامية، وما فتئت مدارس الاستشراق تُعد التقارير والدراسات لكل ما هو إسلامى، ويتصل بالمسلمين، وتضع كل ذلك أمام المعاهد الصليبية والصهيونية؛ ليكون القرار السياسى الذى يتخذ حيال القضايا الإسلامية قائما على ما جاء بها.

والأمة الإسلامية تتعرض لحملات مسعورة، وتكالب رهيب من قِبَل الصليبية والصهيونية، كما تتعرض لمخطط يعمل على إقصاء الفكر

الإسلامى والإجهاز على مقومات الأمة حتى لا تقوم لها قائمة.

وليس من الكياسة أن نظل نتفرج على الهزائم المتوالية التى هزت بعض مجتمعاتنا، وليس من الكياسة كذلك أن نظل أتباعا لغيرنا، ظانين أن ذلك يحفظنا ويحافظ علينا.

إن الكياسة الحقيقية أن ندرك الأخطار التى تحدق بالمجتمعات الإسلامية، فنحاول جاهدين أن نواجهها ببناء شخصيتنا الإسلامية، والعمل على توحيد صفوف الأمة.

إننا نحتاج إلى مواجهة حازمة لما اعترانا من تفكك وضعف، ولما أصابنا من خلل قتل فينا الإحساس بالاستقلال، والاعتزاز بالقيم التى جاء بها الإسلام..

والبداية الضرورية لنهضتنا من كبوتنا، أن نواجه الفكر الاستشراقي، وليست المواجهة بالخطب الرنانة، والكلام الذى ينتهى بانتهاء قوله، إنما المواجهة الصحيحة: أن تكون عملا مدروسا قائما على منهجية دقيقة تضع علماء الأمة الإسلامية أمام مسئولياتهم.

والكتابة عن الاستشراق والمستشرقين لازالت قليلة فى عالم الأمة الإسلامية، وكلما كثرت الكتابة من العلماء فى الاستشراق كلما ازداد وعى المسلمين بضرورة مواجهة الفكر الاستشراقى الذى ألبس الحق بالباطل، وحاد عن الموضوعية، وشروط البحث العلمى..

وهذه الدراسة التى أقدمها للفكر الإسلامى هى محاولة جادة، ومساهمة فى بيان الطريق الذى يمكن أن نسلكه ونحن نواجه التيار الاستشراقى الذى ملأ الدنيا بكتبه ومؤلفاته ومجلاته..

وإن الأمة الإسلامية ـ وهى تتطلع إلى غد مشرق ـ جدير بها أن تعمل على بناء شخصيتها المتميزة، وتجعل غيرها فى موقف الدفاع بما تعمله من حركتها الفكرية، وحسن تحركها.

د. أحمد عبد الرحيم السايح

الاستشراق

أصبح موضوع الاستشراق والمستشرقين من المواضيع التى تشد انتباه علماء الإسلام، لما رأوا أن دراسات المستشرقين للإسلام لا تخلو عن نوع من التدسيس والتحريف، بحسب ما يقومون به من تحقيق علمى، أو اكتشاف تاريخى، ذلك أن العمل الاستشراقى لم يقم على النوايا المخلصة الطيبة، ولكن أصبح مزيجا من الحق والباطل[1]، ومن هنا صار حقا على الباحث والدارس أن يعنى بتحديد مفهوم الاستشراق[2] والوقوف على معالمه البارزة، وآفاقه، ومظاهره، وأهدافه، ليتبين الطريق، ويتبصر الأمر، ويتعرف على المعالم، والحقائق، فيكون على بينة من أمر يمسه فى حياته، ويهمه أن يكون على وعى له ومنه.

والواضح أن كلمة «الاستشراق» مشتقة من مادة «شرق»، يقال:

---

(١) انظر سعيد الأعظمى: الإسلام والمستشرقون لماذا؟ ص ٧ من كتاب الإسلام والمستشرقون ط. عالم المعرفة ط ٥/١٤٠٥هـ.

(٢) انظر الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢١.

شرقت الشمس شرقا وشروقا: إذا طلعت[1]. ومما يسترعى الانتباه أن كلمة الاستشراق، والتى نبحث عن مفهومها اللغوي، لم ترد فى المعاجم العربية المختلفة[2]، وليس معنى عدم ورودها فى المعاجم اللغوية منع الباحث من الوصول إلى المعنى الحقيقى استنادا إلى قواعد الصرف، وعلم الاشتقاق، حيث يبدو أن معنى استشرق: أدخل نفسه فى أهل الشرق وصار منهم[3].

وبعض المصادر اللغوية الحديثة تقول: استشرق: طلب علوم الشرق، ولغاتهم «مولدة عصرية» يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة[4].

«والمستشرق: هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه»[5].

أما لدى علماء الغرب فيتساءل «أربري» نفسه: ما هو الاستشراق؟ وما كنه المستشرق؟ ومن الجلى أن الكاتب حين يعرض لمثل هذا الموضوع

---

(١) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ج١ ص ٤٨ ط القاهرة ١٩٦٠.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ج١ ص ١٧٣، الفيروزأبادى: القاموس المحيط ج٣ ص ٢٤٨، الأزهرى: تهذيب اللغة ج٨ ص ٣٢٦، الجوهرى: الصحاح ج٢ ص ١٥٠٠، والشرنوبى: أقرب الموارد ج١ ص ٥٨٦ وغير ذلك.

(٣) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢.٢.

(٤) الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة ج٣ ص ٣١١ ط بيروت دار مكتبة الحياة ١٩٥٨.

(٥) انظر الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢٢.

الواسع الذى لا يزال مجهـولا بين الجماهير، يحـسن أن يحاول الوصول إلى اتفاق بينه وبين قارئيه، حتى يتعرفـوا موقفهم صحيحا، ومما يزيد من ضرورة هذا التفاهم أن الاستشـراق ـ ومثله فى ذلك كثير من فروع العلم الأخرى ـ قـد تخطى حدوده إلى ميـادين تنتمى فى حقـيقتـها إلى علوم أخرى مستقلة عنه، وإن كانت مجانسة له، حيث إن المستشرق يشارك فى عمله عالم الآثار، والحـفريات، والمؤرخ، وعالم الصرف، والاشـتقاق، وعالم الأصوات، والفيلسوف، وعالم اللاهوت، والموسيقى، والفنان[1].

أما قاموس أكسفورد الجديد فيحدد المستشرق بأنه: «من تبحر فى لغات الشرق وآدابه[2]»ويقـول بارت: «الاستـشراق علم يـختص بفـقه اللغـة خاصة»[3] ويعرف جويدى علم الاستشراق والمسـتشرق فيقول: «والوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتـبادل بين الشرق والغرب إنما هو علم الشرق، ومن الممكن أن نقول: إنه بناء على الارتباط المتين بين التمدن الغربى، والتمدن الشرقى ليس علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنسانى، وليس صاحب علم الشـرق الجديد بهذا اللقب الذى يقـتصر على معـرفة بعض اللغات المجهولة، أو يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب، بل إنما هو جـمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحـاء الشـرق، وبين الوقـوف على القوى الروحية الأدبية الكبيرة التى أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية.

---

(١) انظر الدكتور/ أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص ٢٢.

(٢) أربرى: المستشرقون البريطانيون، ص ٨،٧، ترجمة محمد الدسوقى النويهى، ط. وليان لندن.

(٣) الدكتور أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص ٢٣.

هو من تعاطى درس الحضارات القديمة، ومن أمكنه أن يقدر شأن العوامل المختلفة فى تكوين التمدن فى القرون الوسطى مثلا، أو فى النهضة الحديثة، وعلم الشرق هذا علم من علوم الروح، يتعمق فى درس أحوال الشعوب الشرقية، ولغاتها، وتاريخها وحضارتها، ثم يستفيد من البحوث الجغرافية، والطبيعية[1].

ويذكر الدكتور أحمد سمايلوفتش ـ بعد أن عرض آراء علماء الغرب: أن الباحث يستطيع أن ينتهى إلى نتائج ذات دلالات بالغة؛ ليفيد منها إلى تقرير الحقائق التالية:

(أولا) : أن دارس موضوع الاستشراق يجب عليه قبل كل شيء أن يحدد مفهومه، ويحاول إيصال معناه محددا إلى قارئيه.

(ثانيا) : أن الاستشراق علم ذو حدود واسعة، وأحيانا غير واضحة؛ إذ يختلط ميدانه بميادين العلوم الأخرى؛ لأن المستشرق قد يشارك فى أبحاثه علماء الآثار، والأصوات، والاشتقاق، والحفريات، واللاهوت، وما شاكل ذلك.

(ثالثا) : أن المفهوم العلمى لكلمتى الاستشراق والمستشرق، قد مر بأدوار مختلفة منذ عام ١٦٨٣م عندما كان يعنى: أحد أعضاء الكنيسة الشرقية إلى عصرنا هذا، حيث أصبح يعنى التبحر فى إحدى لغات

---

(١) جويدى: علم الشرق وتاريخ العمران ص١١ ـ ١٤.

الشرق، وآدابها، فكان هذا التبحر شرطا أساسيا فى عالم الاستشراق.

(رابعا): أن كلمة (الاستشراق) ذات دلالتين، أولاهما: أنه علم يختص بفقه اللغة ومتعلقاتها على وجه الخصوص، وثانيهما: أنه علم الشرق، أو علم العالم الشرقى على وجه العموم، فعلى هذا الأساس يشمل كل ما يتعلق بمعارف الشرق، من لغة وآداب، وتاريخ وآثار، وفن وفلسفة، وأديان وغيرها من علوم وفنون.

(خامسا): أن الاستشراق علميا يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة.

(سادسا): أن الاستشراق ـ كفكرة علمية ـ قد نال حظا عظيما فى أثناء القرن الثامن عشر، حيث كان الشرق يأخذ مكانه فى أبحاثه ومؤلفاته إلى جانب الغرب فى أفق شمولى، مما يدل على أن دراسة العرب وما يتعلق بهم كان ـ ولا يزال ـ أمرا بالغ الأهمية لعلم الاستشراق ودراساته.

(سابعا): أن الاستشراق يطلق على الجمع، والانقطاع إلى دراسة الأنحاء المختارة من الشرق، والوقوف على قواه الروحية، وآدابه العظيمة التى أسهمت إسهاما فعالا فى تكوين ثقافة العالم بأسره[1].

والدكتور محمود حمدى زقزوق يرى: أن كلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل غربى يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه، ووسطه،

---

(١) الدكتور/ احمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص ٢٦ بتصرف.

وأدناه، فى لغاته، وآدابه وحضـارته، وأديانه. والذى يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق، الذى يعنى بالدراسـات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامى فى لغـاته، وآدابه، وتاريخه وعقـائده، وتشريعاته، وحـضارته بوجه عام، وهذا المعنى هو الذى ينصرف إليه فى عالمنا العربى الإسلامى، عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق[1].

وهناك آراء أخرى غـير آراء هؤلاء العلماء الأجـلاء، لكننا اكتـفينا بما ذكرناه من آراء، لما فيها من السـعة والشمول، ولعلنا بعد هذا نخلص إلى النتائج التالية:

أولا: أن الاستشراق علم يحاول أصحابه دراسة كل ما يتعلق به من لغات وآداب ومعتقدات وعلوم وفنون وما شاكلها.

ثانيا: أن المعنى الأصلى لكلمـة (استشـرق): «صار شرقـيا» وأن صيـغة (المستشرق) علمـيا تطلق على ذلك الذى يشتغل بالعقليـات الشرقية عامة والسامية خاصة.

ثالثا: أن المستشـرق عالم غربى يهتم بالدراسات الشـرقية على الإطلاق، ويجب أن يكون عالما متخصصا غربيا أصلا أو انتماء.

رابعا: أن المعنى الذى ينصرف إليه الذهن عندما يطلق لفظ (مستشرق) هو الذى يُعنى بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامى.

---

(١) الدكتور/ محمود حمدى زقزوق: الاسـتشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٨ طبع كتاب الأمة، قطر، ١٤٠٤هـ.

وبناء على ما ذكره العلماء المتخصصون والدارسون للاستشراق يمكن القول: إن الاستشراق أصبح اسما واسعا، يشمل طوائف متعددة تعمل فى ميادين الدراسات الشرقية المختلفة[1]، ويكاد يكون الاستشراق علما قائما بنفسه له أصوله وفروعه وله مقدماته ونتائجه، يكاد يكون رجاله - على رغم شتاتهم - شعبا خاصا، وله أفقه الخاص به، وحياته المقصورة عليه[2].

ولكن يمكن القول: إن الاستشراق فى دراسته للإسلام ليس علما بأى مقياس علمي، وإنما هو عبارة عن «أيديولوجية» خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات[3].

والاستشراق مهنة وحرفة كالطب والهندسة والمحاماة، وهو أقرب الشبه إلى مهنة التبشير[4].

وإذا أجرى الباحث موازنة بين أداء علماء الغرب وعلماء العربية فى الاستشراق فإنه سوف يصل إلى التقديرات التالية:

---

(١) إبراهيم عبد المجيد اللبان: المستشرقون والإسلام، ص ٥٤ ط. الأزهر، ١٩٧٠م.

(٢) محمود الحومانى: المستشرقون، مجلة الرسالة ٢٦ يوليو ١٩٣٧ القاهرة.

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ١٢ كتاب الأمة.

(٤) حسين الهروى: نحن والمستشرقون، مجلة المعرفة ص ٤٠ يوليو ١٩٣٣م.

(أولا) : يرى العلماء أن الاستشراق قد أصبح علمـا مستقلا له ذاتيته، وكأنه يقوم بدراسة كل ما يتعلق بالشرق وحضارته.

(ثانيا) : قرر العلمـاء أن المستشرق لابد لـه من معرفة كـاملة بإحدى اللغات الشرقية وآدابها(١).

ويبدو للباحث ـ بعد الدراسة والاستقصاء ـ أن للاستشراق أسبابا كثيرة ودوافع متـعددة نفسـية وتاريخية واقـتصادية وأيدلوجـية ودينية، وأخـيرا علمية، وبجانب هذا هناك أسباب ثانوية شخصية مزاجية عند بعض الذين تهيأ لهم الفراغ والمال، واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة فى السفر والترحال، أو فى الاطلاع على ثقافات العالم القديم(٢).

وليس من الـضـرورى بحث تلك الـدوافع والتـعـرف عـلى كل هذه الأسباب، لأن السبب الرئيسى المباشر الذى دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو سبب دينى فى الدرجة الأولى، فقد تركت الحروب الصليبية فى نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار مرة عميـقة، وجاءت حركة الإصلاح الدينى المسيـحى، فشعـر المسيحـيون: بروتستـانت وكاثوليك بحاجـات ضاغطة لإعادة النظر فـى شروح كتـبهم الدينيـة، ولمحاولة تفهـمهـا على أساس التطورات الجديدة التـى تمخضت عنها حـركة الإصلاح، ومن هنا اتجـهوا

---

(١) الدكتور أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق ص ٣٢ بتصرف.

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٣٢.

إلى الدراسات العبـرانية، وهذه أدت إلى الدراسات العربية والإسـلامية؛ لأن الأخيـرة كانت ضرورة لـفهم الأولى وخاصـة ما كان منهـا متـعلقا بالجـانب اللغـوى، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسـات الشـرقيـة حـتى شملت أديانا ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية[1].

ومن جهـة أخرى رغب المسيحـيون فى التبشـير بدينهم بين المسلمين، فأقـبلوا على الاسـتشـراق ليتـسنى لهم تجهـيز الدعـاة وإرسالهم للعـالم الإسلامى، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار، فمكن لهم، واعـتمـد عليـهم فى بسط نفـوذه فى الشرق، وأقنع المبـشـرون زعمـاء الاستـعمار بأن المسيـحية سـتكون قاعدة الاستـعمار الغـربى فى الشرق، وبذلك سهل الاسـتعمـار للمبشرين مـهمتـهم، وبسط عليهم حمـايته، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب فى أن الاستشراق قام فى أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار[2].

ولا يعرف بالضـبط من هو أول غربى عُنى بالدراسات الشـرقية، ولا فى أى وقت كان ذلك، ولكن المؤكـد أن بعض الرهبان الغربيين قـصدوا الأندلس فى إبان عظمتها ومجدها وتثقـفوا فى مدارسها، وترجموا القرآن.

---

(١) الدكتور محـمد البهى: المبشرون والمستـشرقون ص ٣٧٤ من حولية كلية الدعـوة، العدد الثانى ١٤٠٦هـ. مصر.

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٥.

والكتب العربيــة إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمــين فى مختلف العلوم، وبخــاصة فى الفلســفــة والطب والرياضيــات، ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفــرنسى «جريرت» الذى انتــخب بابا لكنيسة رومــا عام ٩٩٩م، بعــد تعلمــه فى معــاهد الأندلس، وعــودته إلى بلاده، وبطرس المحتــرم ١٠٩٢ ـ ١١٥٦م وجيــراردى كريمون ١١١٤ ـ ١١٨٧م وبــعد أن عــاد هؤلاء الرهبان إلــى بلادهم نشروا ثقــافــة العرب ومــؤلفــات أشهــر علمائهم، ثــم أسست المعاهد للدراســات العربيــة أمثال مــدرسة «بادوى» العربية، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مــؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينيــة وهى لغة العلم فى جــميع بلاد أوروبا يومئــذ، واســتــمرت الجامــعات الغربية تعــتمد على كتــب العرب، وتعتبــرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون[١].

وليس هناك شك فى أن الانتشار الســريع للإسلام فى المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجــالات اللاهوت النصرانى إلى هذا الدين، ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته[٢].

ويبدو من الــصعب تحديد تاريخ مــعين لبداية الاســتشــراق، وإن كان بعض الباحثين يشير إلى أن الغرب النصرانى يؤرخ لبدء وجود الاستشراق

(١) انظر الدكتور مــصطفى السباعى: الاستــشراق والمستشرقــون ص ١٣، ١٤ ط المكتب الإسلامى ببيروت.

(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٩.

الرسمى بصدور قرار مجمع «فـيينا» الكنسى فى عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الأوروبية[١] ولكن الإشارة هنا إلى الاستشـراق الكنسى تدل أنه كان هناك استشراق غيـر رسمى قبل هذا التاريخ فضلا عن أن هناك باحثين أوروبيين[٢].

ويذكر البـاحثـون: أنه ليس هناك اتفاق على فـترة زمنيـة معينـة لبداية الاسـتشـراق، فـبعـض الباحـثين يذهب إلى القـول بأن البـدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى، بينما يرى «رودى رات» أن بدايات الدراسات الإسـلامية والعربية فى أوروبا تـعود إلى القرن الثانى عـشر الذى تمت فيه ـ لأول مـرة ـ ترجمة معـانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، كما ظهر أيضا فى القرن نفسه أول قاموس لاتينى عربى[٣].

وأول استعمـال لكلمة «مستشـرق» ظهر فى سنة ١٦٣٠م حيث أطلق على أحد أعضـاء الكنيسة الشرقية أو اليـونانية، وفى سنة ١٦٩١م وجدنا «أنتونى وود» يصف «صموئيل كـلارك» بأنه «استشراقى نابه» يعنى بذلك أنه عرف بعض الـلغات الشرقـية، و«بيـرون» حينما يتـحدث عن المسـتر «ثورنتون» يذكر معارفه الكثيرة الدالة على استشراق عميق[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٨، ١٩.

(٢) الدكتور/ محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ١٩.

(٣) المصدر السابق ص ٢٠.

(٤) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢٢.

ويذكر «رودنســون» أن كلمة (مــستشــرق) ظهرت فى اللغــة الإنجليزية حوالى عام ١٧٧٩م كما دخلت كلمة (الاســتشراق) على معجم الأكاديمية الفرنسية فى عام ١٨٣٨م[١].

وتجســـــدت فكرة نظام خــاص مــكرس لدراســة الشـــرق، ولم يكن المتخصــصون بعد من العدد بحـيث يمكنهم تشكيل جمعيــات أو مجلات متخــصصة فى بلد واحد، كــان أفق هؤلاء المستشرقين يشــمل عديدا من المجــالات بطريقة غــيــر متــوازية فى عــمقــها، ومن هنا بــدأ تصنيفــهم كمستــشرقين، وشهدت فكرة الاستشــراق تعمقا كبيــرا، إلا أنها تعرضت كذلك لأضرار، وكــان الشرق يأخذ مكانه فى مؤلفات القرن الثــامن عشر إلى جانب الغرب فى أفق شمولى[٢].

ولكن المهم هنا ليس هو متى ظهر مفهوم (مستشرق) أو (استشراق) وإنما المهم هو مــتى بدأت الدراسات العــربية والإســلامية فى أوروبا؟ ومــتى بدأ الاشتغال بالإســلام والحضارة الإسلامية، ســواء بالقبول أو بالرفض؟ وهذا أمر موغل فى الــقدم، أما المصطلح ذاته فلا يعنى شــيئا أكثــر من إقرار أمر واقع، وإطلاق وصف على الدراسات التى كــانت قائمة بالفــعل قبل ذلك بقرون عديدة، بصرف النظر عن علمية هذه الدراسات أو موضوعيتها[٣].

---

(١) انظر مكســـيم رودنســون: تراث الإســلام تصنيف شــــاخت وبوزورث ج١ ص ٧٨ ترجـمـة الدكتور/ محمد زهير السمهورى، سلسلة عالم المعرفة بالكويت ١٩٧٨م.

(٢) الدكتور أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق ص ٢٥.

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ٢١.

وعلى أية حال - كما يقول الدكتور زقزوق -[1] فإن الدوافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل فى ذلك الصراع الذى دار بين العالمين الإسلامى والمسيحى، فى الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته[2].

ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق فى مراحله الأولى هو تاريخ الصراع بين العالم النصرانى الغربى فى القرون الوسطى والشرق الإسلامى على الصعيدين الدينى والأيديولوجى، فقد كان الإسلام كما يقول «ساذرون»: «يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصرانى فى أوروبا على المستويات كافة[3]، باعتباره مشكلة عملية استدعى الأمر اتخاذ إجراءات معينة كالصليبية والدعوة إلى النصرانية والتبادل التجارى.. وباعتباره مشكلة لاهوتية تطلب بإلحاح العديد من الأسئلة فى هذا الصدد، وذلك يقتضى معرفة الحقائق التى لم يكن من السهل معرفتها[4].

---

(١) موالـيد محافظة الدقهلية عام ١٩٣٣م أتم دراسته فى جامعة الأزهر، وحصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة ميونخ بألمانيا الغربية ١٩٦٨م، وقد أصدر عدة كتب ودراسات فى الفلسفة.

(٢) انظر د. زقزوق: الإسلام والاستشراق، ص ٧٣ ضمن كتاب: الإسلام والمستشرقون، جدة ١٤٠٥هـ.

(٣) الدكتور/ زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ٢١.

(٤) المصدر السابق.

ويذكر الباحثون أنه من القرن الخامس الميلادى حتى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى كانت أوروبا تعيش فترة يسمونها «العصور الوسطى» ويعدونها عصورا مظلمة؛ حيث كانت شعوب الفرنجة تعيش حياة همجية يائسة فى ظلال كنيسة متسلطة مستبدة، ولكن كان أبرز حدث فى تاريخ هذه الفترة هو تلك النافذة التى فتحت فى جنوب أوروبا الغربى تطل منه على الحضارة الإسلامية، وذلك بوصول طلائع المسلمين إلى الأندلس، وإقامتهم صرح الحضارة الإسلامية فيها، والتى امتدت إلى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى فى حوالى سبعة قرون[1]، كانت فيها الأندلس مركزا حضاريا فى هذا الجزء من أوروبا يشع عليها آثاره فى زحف هادىء فى معظم الأحيان، ثم فى صورة هجمات قوية كادت تخترق فرنسا إلى قلب أوروبا فى أحيان أخرى[2].

وكانت هناك نافذة أخرى فتحت أمام أوروبا على الشرق، وهى الحملات الصليبية على بلاد الإسلام، فقد جلب الصليبيون معهم إلى أوروبا كثيرا من عادات المسلمين وأزيائهم وأنماط حياتهم ووسائلهم فى الحرب والبناء.

ولا شك أن عالم الكنيسة النصرانية أيقن أن زحف المسلمين هذا لم يكن زحفا عسكريا فحسب، بل كان حضارة تمتد وتبسط نفوذها وتنشر

---

(٥) العقاد: أثر العرب فى الحضارة الأوروبية ص ١١٥ ـ ١١٩، ط. دار المعارف.

(٢) عبد العزيز القارى: المستشرقون فى الميزان، ص ٢٧٢ ط. المدينة المنورة.

معـالمها فى كل بقـعة تصل إليهـا، فتـغير من حـياة الشـعوب وأفكارهم، وعقائدهم وأسلوب حياتهم.

وحاولت الكنيسة «روما» إيقـاف هذا المد؛ ففتحت مـحاكم التفـتيش تنكل وتحـرق وتقتل كل من رفع راية العـصيـان فى وجـهها، أو حاول التخلص من سـيطرتها، ورغم كل هذا فإن الكنـيسة عجـزت عن إيقاف التيار، فاضطرت إلى أن تدافع عن نفسها بطريقة أخرى، فبدأت بالاهتمام بدراسة اللغات الشرقية، وفى مقدمتها اللغة العربية[1].

فكانت طلائع المستـشرقين من القسس والرهبان، فانـكبوا على دراسة اللغة العربـية، وكان رجال الكنيسـة يشكلون وحدهم الطبقة المتـعلمة فى أوروبا، ويهيمنون على الجامعات ومراكز العلم فيها.

وأنشىء أول مركـز لدراسة اللغـة العربيـة فى الفاتيكان لتـخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين ويجادلون البروتستانت.

ورحل أول فريق من الرهبان إلى المغرب للغاية نفسها، ورحل آخرون إلى المشرق، وأمـر الفاتيكان بإدخـال اللغة العـربية، واللغـات الشرقـية الأخرى فى مدارس الأديرة والكاتدرائيات. وعمل على إنشاء كَرَاسٍ لهذه اللغات فى الجامعات فى أسبانيا وفرنسا وإيطاليا، وأصبحت جامعة باريس تشكل أهم مركز للدراسـات العربية والشرقية، واستُـعين بعدد من علماء

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٤، ٢٧٥.

اللاهوت، وبعدد من المستشرقين ممن أجادوا تلك اللغـات للقيام بتدريسها فى تلك المدارس، ولتولى تلك الكراسى فى الجامعات[1].

ثم توسعت الدراسات الشـرقية والعربية أكثر عندمـا أمر بابا الفاتيكان الخامس فى أوائل القرن الرابع عشر بإنشاء كـراس للغات العربية والعبرية والكلدانية فى عدد من الجامعات الرئيسية فى أوروبا، وهى جامعة باريس وأكسفورد، وبولونيـا وجامعة الفاتيكان نفسهـا، مع تنصيب أستاذين لكل من هذه اللغات فى كل كرسى وتكليـفهم بترجمة نصوص عـربية وعبرية وكلدانية للرد على منتقدى الدين المسيحى[2].

الأمر المهم بالنسبة لتطور الاستـشراق كان الاقتناع بضرورة تعلم لغات المسلمين إذا أريد لمحاولات تنصيـر المسلمين أن تؤتى ثمارها بنجاح، ومن بين من تبنى هذا الرأى الذى فرض نفسـه بالتدريج «روجربيكون» و«رانمو ندلل» وقد صـادق مجمع فـيينا الكنسى عـام ١٣١٢م على أفكار «بيكون ولل» بشأن تعلم اللغات الإسـلامية واللغة العربية علـى وجه الخصوص، وقد تم تنفيذ ذلك فى جامعات باريس وأكسفورد وسلمنكا[3].

وقد ساعد على تقدم الدراسات الاستشـراقية فى نهاية العصر الوسيط تلك الصلات السـياسية والـدبلوماسية مع الدولة العـثمانيـة التى اتسعت

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) نجيب العفيفى: المستشرقون ج١ ص ١٣٤ ط. دار المعارف.

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الإسلام والاستشراق ص ٧٥ ط. المعرفة، جدة.

رقعتها حينذاك، وقد كان للروابط الاقتصادية لكل من أسبانيا وإيطاليا مع كل من تركيا وسوريا ومصر، أثر كبير فى دفع حركة الدراسات الاستشراقية[١].

وفى القرن السادس عشر وما بعده أدت النزعة الإنسانية فى عصر النهضة الأوروبية إلى دراسات أكثر موضوعية من ذى قبل، ومن ناحية أخرى ساندت البابوية الرومانية دراسة لغات الشرق من أجل مصلحة التبشير [٢]ولذا يرى كثير من الباحثين: أن الاستشراق لون من ألوان التبشير «الغزو الفكرى» ويعود إلى أسباب دينية، فبعد عهد الإصلاح الدينى شعر الأوروبيون من البروتستانت والكاثوليك بحاجة إلى إعادة النظر فى شروح كتبهم فاتجهوا إلى الدراسات العربية والإسلامية، وأخذوا يستفيدون مما وصل إلى أيديهم من المؤلفات الإسلامية الكثيرة، ثم تطور الاستشراق فأصبح يهتم بالعلوم الاقتصادية والسياسية إلى جانب غرضه الأول وهو التمهيد للمبشرين وخدمة أهدافهم[٣].

وقد كثر المستشرقون فى أول الأمر بين اليهود لعدد من الأسباب حين كان الشرط الأساسى للاستشراق معرفة اللغة العربية، وبما أن اليهود يتكلمون لغة أعرابية «ولا نقول سامية» فإن تعلم العربية كان سهلا

---

(١) المرجع السابق ص ٧٥.

(٢) المصدر السابق ص ٧٥.

(٣) الشيخ أحمد بشير: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٤٦٩، ٤٧٠.

عليهم، ثم إن اليهود فى الأصل شرقيون، فساعدهم ذلك على فهم النصوص العربية، وعلى إدراك المشاكل الشرقية أكثر مما كان ذلك مساعدا لغير اليهود، وكذلك كان اليهود الذين يسكنون فى الغرب يعرفون الحاجات السياسية والعلمية التى كانت الدول والجمعيات المعنية بهذا الاتجاه ترمى إليها أكثر من غيرهم؛ لجمعهم فى الأصل بين الذهن الشرقى والمسكن الغريب»[1].

والظاهر أن اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية، وهى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام[2].

وقد استطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصرا أساسيا فى إطار الحركة الاستشراقية الأوروبية النصرانية[3].

ولم يرد اليهود أن يعملوا داخل ا لحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهودا حتى لا يعزلوا أنفسهم، وبالتالى يقل تأثيرهم؛ ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوروبيين، وبذلك كسبوا مرتين:

* كسبوا أولا: فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

---

(١) الدكتور عمر فروخ: الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة ص ١٣٣، ١٣٤.

(٢) الدكتور محمد البهى: الفكر الإسلامى الحديث، ص ٥٤٣ ملاحق ط. دار الفكر، بيروت.

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ٤٩.

* وكسبـوا ثانيا: تحقيق أهدافـهم فى النيل من الإسلام، وهى أهداف تلتقى مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى[1].

وقد ظل اليـهود طوال تاريخهم يتـحينون كل فرصـة متاحـة ليكيدوا للإسلام والمسلمـين، وقد وجدوا فى مـجال الاستـشراق بابا ينفـثون منه سمومهم ضد الإسلام والمسلمين، فـدخلوا فى هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم، كمـا وجدوا فى الصهيـونية بابا آخر يفرضـون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين[2].

وتتمثل اتجاهات الاستشراق اليهودي في عدة شبهات:

أولا: القول بأن المسلم معناه فى الأصل الخائن.

ثانيا: الادعاء بأن النبى ـ عليه الصلاة والسـلام ـ كانت تنتابه النوبات العصبية، ودليل ذلك ما كان يصيبه من الجهد خلال نزول الوحى، مع أنه ـ عليه الصـلاة والسلام ـ لم يعـرف فى تاريخه كله أنه كـان يصاب بمثل هذه النوبات العصبية قبل زمن البعثة ومقدماتها.

ثالثا: الزعم بأن الرسول ﷺ عاشـر بعض النصارى واليهود فاسـتفاد منهم كثـيرا من القصص، واقـتبس بعض أساليب التعبـير التى لم تكن معروفـة للعرب، مثل: ذاق الموت، ونفخ فى الصـور، وفى آذانهم وقر،

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠ بتصرف.

(١) المصدر السابق ص ٥٠ بتصرف.

وهو ادعاء مسبوق ردده مشركو مكة الذين قالوا: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ وقد بكتهم القرآن فقال: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[1].

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2].

رابعا: الادعاء بأن محمدا ﷺ ما كان رسولا ولا نبيا، فزعم للعرب فى تجسس الأخبار والإسراع بنقلها بطرق لم يوفق أحد من المتحضرين حتى اليوم إلى كشف سرها.

خامسا: أن محمدا ﷺ صادق الفراسة، نفاذ للرجال، إذا لقى أحدهم انكشف له سره، وافتضحت أمامه خفايا صدره، وعرف كيف يستميله ويجذبه إليه.

سادسا: ما كان من بلاغ النبى ﷺ ورسالته لم يكن وحيا يوحى وإنما هى أنباء وروايات يجند لها جواسيسه ورجاله، أو حقائق يبلغها بحذقه وفراسته.

سابعا: تزوج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة - رضى الله عنها - طمعا فى ثروتها، وهى أكذوبة لا تتفق مع ما عرف عن رسول الله ﷺ من زهد

---

(١) سورة النحل، الآية رقم ١٠٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية رقم ٤٨.

فى الدنيا، وأنه لم يورث أعقابه الزهيد مما خلفه بل جعله لعامة المسلمين، بقوله: **«نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة»**.

ثامنا: الزعم أنه أنشأ جمعية سرية، واختار أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ رئيسا لها، فجعل يروج لها ويتفانى فى نشرها، فكانوا يجتمعون فى بيت الأرقم، وأنهم كانوا يجتمعون سرا للصلاة، وقد حاول المستشرق «مرجليوث» تشبيههم بالماسون، وأن هذا الجمع قد اتخذ له رموزا منها: السلام عليك.

تاسعا: الزعم بأن النبى ﷺ نظر فى تعاليم النصارى واليهود فأخرج منها ما لا يقبله العقل، وأنه وحد بين إله اليهود والنصارى وجعلهما واحدا.

ولا ريب أن هذا القول باطل من أساسه، والحقيقة أن التوحيد هو دين جميع رسل الله وأنبيائه، وأن النصرانية واليهودية حَرّفتا هذه العقيدة[1].

على هذا النحو حاول الاستشراق اليهودى تصوير الإسلام ورسالته ونبيه ﷺ وهو ما أورده «مرجليوث» فى كتابه: «محمد وظهور الإسلام»[2].

---

(١) الأستاذ أنور الجندى: الإسلام فى وجه التغريب ص ٣١١، ٣١٢، ط. دار الاعتصام.

(٢) المصدر السابق ص ٣١٢.

وقد تابع «مرجليوث» على نفس الطريق فى الاستشراق اليهودى «جولدسيهر» ويعد جولدسيهر من أكبر الناقمين على الإسلام، ويعد كتابه «العقيدة والشريعة فى الإسلام» مثلا لهذا التشويه الذى حاول به تمزيق الحقائق الإسلامية، والذى يمثل تزويرا فادحا وتحريفا خطيرا لسمعة الإسلام[1].

ويضيف «جولدسيهر» إلى مفهوم الاستشراق اليهودى عدة شبهات:

أولا: القول ببشرية القرآن، أى أنه ليس وحيا، وأن القرآن لم يأخذ خطا واحدا فى التعبير عن مدلول القضايا التى ساقها، وأن أسلوبه متباين بين البيئتين المكية والمدنية.

ثانيا: أن الإسلام كان مزيجا منتخبا من الفكر اليهودى والمسيحى.

ثالثا: استقبال الرسول لبيت المقدس فى الصلاة استرضاء لليهود.

رابعا: أن قصة إبراهيم فى القرآن مفتعلة، وأنها نزلت فى المدينة إرضاء لليهود، والواقع أن القرآن تحدث عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى أكثر من موضع فى القرآن المكى، وأهمها سورة إبراهيم.

خامسا: الفقه الإسلامى مأخوذ من الفقه الرومانى.

سادسا: أن الإسلام قام على السيف.

---

(١) المصدر السابق ص ٣١٤.

سابعا: الحديث النبوى من صناعة الصحابة والتابعين.

ثامنا: الجيوش العربية أخرجها القحط والجوع.

تاسعا: إنكار عالمية الرسالة[1].

ولا ريب أن هذه الشبهات ليست جـديدة، وقد كشف كُتّاب المسلمين فسادها وزيفها.

إذا كان الأمر ـ كما عرفنا ـ من بداية الحركة الاستشراقية. فإننا نرى أن الحركة الاستـشراقية انتقلت إلى مرحلة أخرى، توجهت فـيها إلى دراسة الإسلام، وما يتـصل به، وكان الهدف من ذلك هو التمـهيد للاستـعمار الزاحف فى ذلك الوقت[2].

ولما أدرك الغـرب أن التغلب على المسلـمين والتحكم فـيهم عـسكريا حدث قصـير العمر انصـرفت همم المستشرقين وعلمـاء الغرب إلى الغزو الفكرى[3] والتبشيرى أو تحويل المسلمين عن الإسلام.

وهذه المرحلة من أخطر المراحل، بل هى الحـرب الحقيـقيـة، والغزوة

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٣١٤.

(٢) د. عبد العظيم الديب، المستشرقـون والتاريخ، مجلة البعث الإسـلامى، عدد ٣٢٢ ص ٢٤٣ رمضان وشوال ١٤٠٢هـ الهند.

(٣) د. حسن ضياء الدين: الاسـتشراق، مجلة كلية الشريعـة، ص ٢٦ العدد الخامس مكة المكرمة ١٤٠١هـ.

الشـرسة التى لا تهـدف إلا إلى هدم المنشـآت وتمزيق الجيـوش، وتحطيم العزائم، وطمس المعـالم، وتعمية الطريق، وبذلك يضـمنون الخضوع من غير أن يحتاجوا إلى أن يرفعوا سلاحا[1].

ولذلك عمل المسـتشرقون على تقويض العـقيدة الإسلامـية، وإحلال مفاهيم الصداقة بين الدول الغالبـة والمغلوبة محلها تحت اسم الحضارة، أو العالميـة، أو وحدة الثقافة والفكـر البشرى[2] والإخاء الإنسانى، وما إلى ذلك من مسـميـات، ويرى كثيـرون أن الاستـشراق ولد من أبوين غـير شرعيين هما: الاستعمار والتبشير، وأنه مازال يعمل من أجل هذا الغرض الذى ولد من أجله، وإن غيـر أساليبه وجلده مرات ليـتلاءم مع الظروف المختلفة[3].

أما الاستعمار فهو يرى أن المفهوم الإسلامى السليم من شأنه أن يعطى المجتمع المسلم قوة تحول دون سيطرته واستمراره.

وأما التبشير فإنه يستـهدف الحيلولة دون توسع الإسلام وانتشاره، وقد أضيف إلى هذين الأبوين أب ثالث هو الصهيونية التى تهدف من سيطرتها

---

(١) الدكتور عـبد العظيم الديب: المستشـرقون والتاريخ، مجلة البـعث الإسلامى، ص ١٤٣، عدد ٢، ٣ رمضان وشوال ١٤٠٢هـ.

(٢) دكتور على جريشة ومحمد شريف: أساليب الغزو ص ٢٠ ط. دار الاعتصام.

(٣) الأستاذ أنور الجندى: الإسلام فى وجه التغريب، ص ٢٦٥، ٢٦٦.

على الاستشراق إلى الحيلولة دون تجميع المسلمين والعرب فى وحدة تقاوم الصهيونية[1].

ولقد كان الارتباط الجذرى بين التبشير والاستشراق أخذا وعطاء قويا، والفرق بينهما هو أن الاستشراق أخذ صورة البحث، وادعى لبحثه الطابع العلمى الأكاديمى، بينما بقيت دعوة التبشير فى حدود مظاهر العقلية العامة، وهى العقلية الشعبية.

واستخدم الاستشراق: الكتاب، والمقال فى المجلات العلمية، وكرسى التدريس فى الجامعة، والمناقشة فى المؤتمرات العلمية العامة، أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسى فى دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء، كما سلك سبيل العمل الخيرى الظاهرى فى المستشفيات ودور الضيافة والملاجىء للكبار، ودور اليتامى واللقطاء، واستخدم كذلك دور النشر والطباعة والصحافة[2].

وإذا كان الأمر كما ذكرنا فإنه ـ ولا شك ـ كان للاستشراق صلة بحركة الاستعمار الأوروبى، وبحركة التبشير المسيحى فى العصر الحديث.

كانت الغاية الأولى من هذا الاستشراق معرفة اللغة العربية؛ ذلك أن اللغة هى الوسيلة الأساسية للسيطرة على الشعوب المحكومة، أو للوصول

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٦٦.

(٢) الدكتور/ محمد البهى: المبشرون والمستشرقون ص ٣٦١.

إلى تفهم شَعْبٍ عقائدَ شَعْبٍ آخر، فالاستشراق قد نشأ فى الدول الكبيرة القوية ذات المطامع فى التوسع وفى الأرض، وفى الدول التى أصبح لها - فيما بعد - مستعمرات مثل إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا، وبلجيكا وهولندا، وروسيا[1].

وحاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل، ألفوا الكتب، وألقوا المحاضرات والدروس، وبشروا بالمسيحية بين المسلمين، وجمعوا الأموال، وأنشأوا الجمعيات، وعقدوا المؤتمرات، وأصدروا الصحف، وسلكوا كل مسلك، وظنوه محققا لأهدافهم.

وفى عام ١٧٨٧م أنشأ الفرنسيون جمعية المستشرقين، ألحقوها بأخرى عام ١٨٢٠م وأصدرت «المجلة الآسيوية».

وفى لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية فى عام ١٨٢٣م، وقبل الملك أن يكون ولى أمرها وأصدرت مجلة «الجمعية الآسيوية الملكية» وفى عام ١٨٤٢ أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم: «الجمعية الشرقية الأمريكية» وفى العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم، وكذلك فعل المستشرقون فى كل من النمسا وإيطاليا وروسيا[2].

ويصدر الأمريكيون فى الوقت الحاضر مجلة «شئون الشرق الأوسط»

---

(١) الدكتور/ عمر فروخ: الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة ص ١٢٠.

(٢) الدكتور محمد البهى: المبشرون والمستشرقون ص ٣٧٧.

وقد حلت محل مجلة «جمعية الدراسات الشرقية» التى كانوا يصدرونها فى أوائل هذا القرن، وآخر المجلات التى يصدرها المستشرقون الأمريكيون هى مجلة «العالم الإسلامى» التى أنشأها صمويل زويمر ١٩١١م وتصدر من «هارتفورد» بأمريكا، وطابعها تبشيرى سافر[١].

وللفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة «العالم الإسلامى» فى روحها واتجاهها العدائى التبشيرى، وفى اسمها أيضا[٢].

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار «دائرة المعارف الإسلامية» بعدة لغات، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التى صدرت بها الدائرة، ومصدر الخطورة فى هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة وهى مرجع لكثير من المسلمين فى دراستهم على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين[٣].

ويعتمد المستشرقون ـ فيما يعتمدون ـ على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر، لتنظيم نشاطهم، وأول مؤتمر عقدوه كان سنة ١٧٨٣م ومازالت مؤتمرات تتكرر حتى اليوم.

وفى العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية فى

---

(١) الشيخ أحمد بشير: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ص ٤٧١ ط. الرياض بالسعودية.

(٢) الدكتور/ محمد البهى: المبشرون والمستشرقون ص ٣٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٨٧.

الغـرب بما كـان يقـوم به الملوك والأمـراء فـى الماضى من الإغـداق على المستشرقين والمبشـرين، وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون فى حقل الاستشراق والتبشير[1].

واتجه المسـتشرقـون والمبشـرون بمعاونة الاستـعمار إلى مـجال التـربية محـاولين غرس مبـادىء التربيـة الغربية فى نفـوس المسلمين حتى يشـبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيـرهم، وحتى تخف فى نفوسهم موازين القيم الإسلامية[2].

ولا يعرف العـقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المسـتشرقـون من تحريف التاريخ الإسـلامى، وتشويه لمبادىء الإسـلام وثقافتـه، وإعطاء المعلومات الخاطئـة عنه وعن أهله، وكذلـك يجاهدون بكل الوسـائل لينتقـصوا من الدور الذى لعبه الإسلام فى تاريخ الثقافة الإنسانية.

إن المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك فى هذا الجانب، والتفاوت - إن وجد بينهم - إنما هو فى الدرجة فقط، فبعضهم أكثر تعصبا ضد الإسلام، وعداوة له من البعض الآخر، ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه[3].

والمستشرقون يتدخلون بشخصياتهم وآرائهم وأهوائهم الخاصة فيفسرون

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧٨.

(٢) انظر: مجلة العالم الإسلامى، ١٦ مارس ١٩٥٩م ص ١١٤ باكستان.

(٣) الدكتور محمد البهى: المبشرون والمستشرقون ص ٣٧٩.

الحـوادث، ويناقشـون النصـوص التشـريعيـة، ويحللون قـضايا اللغـة، وشخصيـات الحضارة الإسلامية، كل ذلك يدرسـونه من وجهة نظرهـم، ويطلون عليه من نافذتهم الخـاصة، فيلقون عليه ظلالا معينة تغـير معالم الصـورة الأصلية، وفى غـالب الأحيـان تعطينا دراساتهم صـورة غريـبة مشبوهة لحضارة شرقيـة، وتقدم لنا الإسلام نفسه من خلال نظرة علمانية أو نصرانـية، هذا مع أنه توفـرت للمستـشرقين من الإمكانات والـعوامل المساعدة ما لم يتوفر لأحد خـاصة عندما بسطت أوروبا نفوذها وسيطرتها الاستـعمـارية على منطقة العـالم الإسلامى، وفـتحت الأجواء فـسيـحة للمستشرقين والمبشرين، يتجولون فى المنطقة بحرية تامة، ويعبثون بمصادر الثقافة فيهـا ومعالم الحضارة[1]، بل ويستولون على كثير من المخطوطات الثمينة التى تشكل بمجـموعها صرح المكتـبة الإسلامية الكبرى، فـينهبون المخطوطات وينقلونها إلى أوروبا، وقد اطلعت على بعض الدراسات التى ذكـرت أنه بالإمكان أن نجزم أن حـوالى تسـعين فى المائة من المخطوطات الثمينة نهبت وانتقلت إلى مكتبات وجامعات أوروبا وأمريكا، وذلك على أيدى المستشرقين الذين كانوا ينتقونها بخبرة ومعرفة دقيقتين[2].

وكان انتقـال هذا التراث إلى أيدى دوائر الاستشـراق واحدا من أخطر

---

(١) الشـيخ عبـد العزيز القـارىء: المسـتشرقـون فى الميزان، ص ٢٧٧، من مـحاضـرات الجامـعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٣٩٣هـ.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٧.

التحـديات؛ لأنه أصبح حـجة لنا لا علينا، وأصـبح إحياؤه يـجرى على النحو الذى يختاره الاستشراق لا وفق إرادتنا الخاصة[1].

ولذا أحيا المستشرقون أنواعا معينة وأولوها اهتماما كبيرا، منها دراسات الحلاج التى عنى بهـا المستشـرق (ماسنيون) ودراسات عن السـهروردى، وبشـار، وأبى نواس، وألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنـة، وما يتـصل بابن الراوندى، وإحياء الأغانى، وكل هذه الدراسات فيـها شبهة طرح مفاهيم من شأنها أن تحطم مفهوم الإسلام الأصيل أو تزيفه[2].

وإن أى محاولة لتصـور فلسفة الاستشراق لا تعدو مـا أورده الباحثون المنصـفون من أنها مـحاولة الاسـتعـمار الغـربى لدراسة العـقلية العـربية الإسلامية، والنفسية العربية الإسـلامية؛ بقصد الانتفاع بذلك فى التعامل معـها، والسـيطرة عليهـا، وتدميـر مقـوماتها التـى أعطتها القـدرة على التماسك والصمود[3].

ويخلط الاستـشراق كثـيرا بين الإسلام كـدين وتعاليم ثابتـة، والقرآن الكريم والسنة الصحيحة، وبين الوضـع المتردى للعالم الإسلامى فى عالم اليوم.

---

(1) الأستاذ أنور الجندى: الإسلام فى وجه التغريب، ص ٣٣٩ بتصرف.

(2) المصدر السابق، ص ٤٠٠.

(3) المصدر السابق، ص ٤٠٢.

فإسلام الكتاب والسنة يعد فى نظر مستشرق معاصر، مثل «كيسلنج» إسلاما ميتا، أما الإسلام الحى الذى يجب الاهتمام به ودراسته فهو ذلك الإسلام المنتشر بين فرق الدراويش فى مختلف الأقطار الإسلامية، هو تلك الممارسات السائدة فى حياة المسلمين اليوم بصرف النظر عن اقترابها أو ابتعادها من الإسلام الأول[١].

ويؤكد الاستشراق بوضوح على أهمية الفِرَق المنشقة عن الإسلام كالبابية والبهائية والقاديانية، وغيرها من فرق قديمة وحديثة، ويعمل على تعميق الخلاف بين السنة والشيعة، والمستشرقون يعدون المنشقين عن الإسلام على الدوام أصحاب فكر ثورى تحررى عقلى، ودائما يهتمون بكل غريب وشاذ[٢].

فالاستشراق فى شطريه ـ عاملا مع الكنيسة أو عاملا مع الاستعمار ـ لا يستطيع أن يخلص إلى الحق، وإنما هو يؤدى دوره فى إثارة الشبهات وتقديم الزاد الكافى لدراسات التبشير، ومعاهد الإرساليات لإيجاد تيار زائف مضلل[٣].

وكان من بين الخطط التى دبرت أن يعمل المبشرون بكل الوسائل للتشهير بالدين الإسلامى وإظهاره ـ برغم وحدانيته ـ فى صورة أدنى إلى

(١) الدكتور/ محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ١١٦.

(٢) الدكتور/ محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ١١٦.

(٣) الأستاذ أنور الجندى: الإسلام فى مواجهة التغريب، ص ٤٠٢.

الغريزة البشرية، وأنه يصلح لإشباع النزعات الدينية السطحية دون التعمق فى تهذيب الروح والخلق، وزعموا أنه دين يشجع الحياة الجنسية، ويدعو إلى الخمول والاستسلام لأحكام وتصرفات القدر.

ولقد عاون المستشرقون فى تثبيت وتأكيد هذه الاتهامات وتوسعوا فيها.

وبعد هذ الذى ذكرناه نعود إلى وقفة إنصاف لابد منها؛ حيث إنه من المقطوع به أن الاستشراق ـ من خلال هدفه ومهمته ـ قدم للفكر الإسلامى العربى أشياء كثيرة نافعة لا يمكن إنكارها، ولا تجاهلها، ولا نكون مجاملين لأحد عندما نقول: **إن دراسات المستشرقين أدت خدمات فى مجالين:**

المجال الأول:

استيعاب المصادر وجمع المعلومات بشكل واسع، وربما ساعدهم على ذلك اهتمامهم بالاختصاص الدقيق؛ بحيث يقضى أحدهم فترة طويلة من عمره فى بحث واحد يتفرغ له.

المجال الثانى:

الترتيب والتنسيق فى منهج البحث والتأليف والإحصاء والفهرسة، وعنايتهم بها عناية كبيرة، وكان ذلك شيئا جديدا على الدارسين فى الفترة التى ظهرت فيها دراسات المستشرقين إلى عالم القراء.

وتنبهت الأوساط العلمية والدارسون فى العالم الإسلامى إلى هذا المنهج المنسق الذى ظهر فى دراسات المستشرقين، فاستفادوا منه فى بحوثهم ودراساتهم، وإن الباحث ليعترف بهذه الخدمات التى أدتها دراسات المستشرقين[1].

ولا يفوتنا أن نذكر أن بعض المستشرقين سلكوا منهجا خاصا بهم فى كثير من الأحوال، فمن جهود المستشرقين نشر الأصول العربية نشرا محررا مصححا بالمقارنة بين المخطوطات الراهنة، إن تاريخ الطبرى، وطبقات ابن سعد، وتفسير البيضاوى قد رأت النور أول ما رأت على يد مستشرقين قضوا فى تحريرها جانبا كبيرا من حياتهم، ثم أخرجوها لنا ولهم أيضا فى حالة وافية صحيحة، وكتب المستشرقون لتلك الكتب مقدمات صحيحة فيها دراسة وتقويم لتلك الكتب.

وبدأ المستشرقون عمل الفهارس الهجائية للكتب التى حرروها، ولم نعرف نحن ذلك قبلهم[2].

وقد خدم المستشرقون كذلك تراثنا الإسلامى لما نقلوا جانبا كبيرا من كتبنا إلى لغاتهم[3].

---

(١) الشيخ عبد العزيز القارى: المستشرقون فى الميزان ص ٢٧٨.

(٢) الدكتور/عمر فروخ: الاستشراق فى نطاق العلم وفى نطاق السياسة ص ١٣١ من كتاب المستشرقون والإسلام، طبع الهند.

(٣) المصدر السابق ص ١٣٢.

أما فيما يتعلق بفنية البحث عن أحاديث الرسول ﷺ فإن الاستشراق قدم إلى الدراسات العربية الإسلامية خدمة جليلة نقدرها حق قدرها؛ لأن من شأنها أن تسهل البحث عن النصوص المنتشرة فى مجلدات لا حصر لها، وإذا كان «مفتاح كنوز السنة» الذى وضعه المستشرق الإنجليزى د. فسنك، والذى قام بنقله محمد فؤاد عبد الباقى، يعد من أعظم الأعمال الميسرة للبحث عن النصوص النبوية فى حوالى أربعة عشر كتابا من كتب الحديث فإن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى يعد فى قمة الأعمال التى قام بها المستشرقون، فخدموا كل باحث أو طالب للحديث فى كتب تسعة من أمهات كتب الحديث[1]، وهذا يدل على أن هناك اتجاها طيبا عند البعض فى الظاهر.

والفكر الاستشراقى ـ بعيدا عما ذكرناه فى دائرة الإنصاف ـ له خطورته؛ لأنه لا يقوم على منهج علمى سليم، وأنه يزيف الحقائق ويخلط بين الحق والباطل، وأنه يتصل بالتبشير اتصالا وثيقا، وأن التعاون بينهما قائم ومستمر.

---

(١) الدكتور/ أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق، ص ٢٠٦ بتصرف.

مواجهة الفكر الاستشراقى

قــد يكون من البـدهيات التى لا تحـتـاج إلى دليل، ولا تخـفى على باحث أو دارس: أن الغرب والشرق لم يكونا منعزلين عن بـعضهما، بل اتصلا ببعضهما اتصالا ـ أيا كان هذا الاتصال ـ منذ القدم.. وتاريخ هذا الاتصال حافل بالتـفاعلات، والصراعات الثـقافية، والسيـاسية بين هذين العالمين[1].

فأوروبا اكتـشفت الفكر الإسلامى فى مرحلتين من مـراحل تاريخها، فكانت مرحلة القرون الوسطى قبل وبعد توماس الإكوينى[2] تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمتــه. ومن أجل إثراء ثقافتها، بالطـريقة التى أتاحت لها فعــلا تلك الخطوات التى هدتها إلى حـركة النهـضة، منذ أواخـر القرن

---

(١) انظر الدكتور محمــد إبراهيم حسن: الاستشراق وأثره على الثقافة العـربية، مجلة رسالة الخليج العربى، العدد رقم ٢٣ ص ٢٥ السنة الثالثة ١٤٠٨هـ.

(٢) تومــاس الإكـوينى: ولد سنة ١٢٢٥م، وتوفى سنـة ١٢٧٤م، ويعتـبـر من أعظم الفـلاسـفـة واللاهوتيين فى العصـر المدرسى المسيحى، وفى سنة ١٣٢٣م منحـته الكنيســة الكاثوليكية لقب القديس.

الخامس عشر الميلادى، وفى المرحلة العصرية والاستعمارية فإنها تكتشف الفكر الإسلامى مرة أخرى، لا من أجل تعديل ثقافى. بل من أجل تعديل سياسى، لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع فى البلاد الإسلامية من ناحية، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه السياسات فى البلاد الإسلامية[1].

ويذكر المؤرخون للاستشراق أن الجيوش الأوروبية الصليبية لما هاجمت بلاد الإسلام كانت مدفوعة إلى ذلك بدافعين:

الدافع الأول: دافع الدين والعصبية العمياء التى أثارها رجال الكنيسة فى شعوب أوروبا، مفترين على المسلمين أبشع الافتراءات، محرضين النصارى أشد تحريض على تخليص مهد المسيح من أيدى الكفار ـ أى المسلمين ـ فكان جمهرة المقاتلين من جيوش الصليبيين من هؤلاء الذين أخرجتهم العصبية الدينية من ديارهم عن حسن نية، وقوة عقيدة، إلى حيث يلاقون الموت والقتل والتشريد، حملة بعد حملة، وجيشا بعد جيش.

والدافع الثانى: دافع سياسى استعمارى؛ فلقد سمع ملوك أوروبا بما تتمتع به بلاد المسلمين من حضارة وثروات، فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح، وما فى نفوسهم إلا الرغبة فى الاستعمار والفتح، وشاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة. وقد رأى الصليبيون ـ

---

(١) مالك بن نبى: إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى ص ٨.

بعد الإخفاق عسكريا ـ أن يتجهوا إلى دراسة شئون المسلمين وعقائدهم، تمهيدا لغزوهم ثقافيا وفكريا، ومن هنا كانت النواة الأولى لجمعيات المستشرقين[1].

فالاستشراق يمثل ظاهرة بارزة، من مظاهر تلك التفاعلات، والصراعات التي قامت بين الشرق والغرب. ويمكن النظر إلى الاستشراق على أنه فرع من فروع المعرفة فى الثقافة الغربية، موضوعه: الشرق. وكلمة (مستشرق) تطلق على كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق ولغاته، وآدابه، وحضارته وأديانه. والاستشراق بهذا المعنى مفهوم أكاديمى. وقد نشأ هذا المفهوم فى أوساط جامعية، ولازال يستخدم فى أوساط أكاديمية، فالمستشرق هو من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه[2].

ولقد كان الهدف الرئيسى من إنشاء مؤسسات الاستشراق هو تزويد المنصرين بمعارف واسعة ومتنوعة حول الإسلام وأهله، كى يتسللوا بعد ذلك إلى الدوائر العلمية الإسلامية: من مدارس، ومعاهد، وجامعات. ليعيثوا فيها فسادا، بجانب تصيدهم لأبناء الدول الإسلامية، وإلحاقهم بهذه المؤسسات، والإشراف على تعليمهم وتوجيههم[3].

---

(١) الدكتور مصطفى السباعى: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ١٨٧، ١٨٨ ط المكتب الإسلامى بيروت ١٣٩٨هـ.

(٢) انظر الدكتور محمد إبراهيم حسن: الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربى، العدد ٢٣، ص ٣٥، السنة الثامنة.

(٣) راجع الدكتورة عزية طه: من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السادسة، العدد الثالث عشر، ص ٢٣، رمضان ١٤٠٩هـ، أبريل ١٩٨٩م، مجلس النشر العلمى فى جامعة الكويت.

ومفهوم الاستشراق قد مر بمراحل مختلفة، تأثر خلالها بعوامل وقوى دينية وثقافية وسياسية مختلفة، ويمكن تقسيم هذه المراحل إلى ثلاث مراحل متميزة:

المرحلة الأولى:

وتمتد من بداية الاستشراق حتى بداية عصر النهضة الأوروبية، ولقد تطور الاستشراق فى المرحلة الأولى، من كتابات فردية غير منظمة، حتى أصبح بحثا منظما ورسميا، بمعنى أنه أصبح يتم فى مؤسسات رسمية، وتحت إشرافها، وهى الجامعات. أما من حيث محتواه وخصائصه فى هذه المرحلة فقد اتسم فى مجمله بالعداء للإسلام، وساده اتجاه لاهوتى خرافى متطرف: فى جدله، وعدائه للإسلام.. وكان الاستشراق فى هذه المرحلة مظهرا للصراع الدينى والأيديولوجى بين العالَمْين الأوروبى المسيحى والشرق الإسلامى.

المرحلة الثانية:

وتمتد من عصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى، وفى هذه المرحلة أثرت فى مفهوم الاستشراق عدة عوامل أهمها: النزعة الإنسانية التى سادت فى عصر النهضة، وحركة التنوير، «النزعة العقلية» فأدت هاتان النزعتان إلى دراسات للشرق الإسلامى أكثر موضوعية.

المرحلة الثالثة:

من القرن التاسع عشر إلى وقتنا الحالى، وشهدت المرحلة الثالثة

للاستشراق عدة تطورات فى مفهومه وحركته. وفى هذه المرحلة عاد طابع العداء ليغلب على الغرب للشرق[1].

وإذا كان الاستشراق قد بدأ بدراسة اللغة العربية والإسلام، فإن الدافع لذلك لم يكن دافعا علميا خالصا، لدى جمهرة المستشرقين؛ لأن من طبيعة الدافع العلمى أن يكون نزيها عادلا، حريصا على استجلاء الحقيقة، بتجرد، وصدق، وإنصاف. لا تتحكم فيه موروثات، أو رواسب ثقيلة مما صنعتها البيئة الخاصة، أو أملته وقائع تاريخية معينة تتسم بتسجيل فترات الخصومات الدموية، والنزاع العدوانى[2].

ولكن هذه الشروط التى تجعل دراسة الاستشراق للإسلام وتاريخه، واللغة العربية عملا علميا صحيحا ليست متوافرة للمستشرقين الأوروبيين، الذين اتجهوا للدراسات الإسلامية، ذلك أن موقف الأوروبى من الإسلام ليس موقف كره فى غير مبالاة فحسب ـ كما هو الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات ـ بل هو كره عميق الجذور يقوم فى الأكثر على صور من صور التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقليا فحسب، ولكنه يصطبغ بصبغة عاطفية قوية، فقد لا تتقبل أوروبا تعاليم

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم حسن: الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربى، ٢٣ ص ٣٧، ٣٨، باختصار شديد.

(٢) عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية، ص ١٨٩ ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

الفلسفة البوذية أو الهندوكية، ولكنها تحتفظ دائما ـ فيما يتعلق بهذين المذهبين ـ بموقف عقلى متزن، ومبنى على التفكير، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام، يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفى بالتسرب، حتى أن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر فى جميع بحوثهم على الأكثر، كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته، إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع، فهو ـ مع اقتناعه شخصيا بإجرام موكله ـ لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شىء من الفتور اعتبار الأسباب المخففة[1].

وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى، أى أن تلك الطريقة لم يتفق له أبدا أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون إليه مبدئيا، وإذا تعذر عليهم الاختيار العرفى للشهود عمدوا إلى اقتطاع أقسام

(١) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق، ص ٥٢، ٥٣، ترجمة عمر فروخ، ط. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون، ثم فصلوها من المتن، أو تأولوا الشهادات، بروح غير علمية، من سوء القصد، من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر، أى من قبل المسلمين أنفسهم.

وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام، وللأمور الإسلامية، تواجهنا فى جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا، وليس ذلك قاصرا على بلد دون بلد آخر.. إنك تجده فى إنجلترا، وألمانيا، وفى روسيا، وفرنسا، وفى إيطاليا، وهولندا، وبكلمة واحدة تجده فى كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام، ويظهر أنهم ينتشون بشىء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة ـ حقيقية أو خيالية ـ ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد[١].

إذن: الدافع الرئيسى للاستشراق ليس البحث العلمى الخالص، ولا يمكن أن يوصف بأنه دافع علمي؛ لأنه لا يحرص على الحقيقة، بل يحاول تشويهها بباعث من تعصب راسخ، عميق الجذور، يعود إلى النزعة العدوانية الحاقدة التى دفعت الأوروبيين إلى الحروب الصليبية[٢].

ويستطيع كل باحث عن تاريخ الاستشراق أن يتبين ـ بما لا يدع مجالا

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٣، ٥٤.

(٢) عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية، ١٩٠، ١٩١.

للشك - أن الهدف الدينى كان وراء نشأة الاستشراق، ودعم الدراسات الإسلامية، والعربية فى أوروبا[1].

والهدف الدينى يكاد أن يكون واضحا فى كتابات المستشرقين، وقد بدأه الرهبان الذين كان يهمهم أن يطعنوا فى الإسلام، ويحرفوا حقائقه؛ ليثبتوا لجماهيرهم التى تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام - وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية فى نظر الغربيين - دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج، لصوص، وسفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحى وخلقى، ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم فى العصر الحاضر، بعد أن رأوا الحضارة الحديثة، وقد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التى كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام؛ لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة، وكتب مقدسة[2].

وهناك الهدف التبشيرى الذى لم يتناسوه فى دراستهم العلمية، وهم قبل كل شىء رجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الإسلام فى نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين؛ لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية،

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ٧١، ط. كتاب الأمة، ١٤٠٤هـ، قطر.

(٢) عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية، ص ١٩١.

والتشكيك فى التراث الإسلامى، والحضارة الإسلامية، وكل ما يتصل بالإسلام، من علم، وأدب، وتراث[1].

فالهدف الدينى للاستشراق كان يسير منذ البداية فى اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معا جنبا إلى جنب، وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتى:

(١) محاربة الإسلام، والبحث عن نقاط ضعف فيه، وإبرازها، والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والانتقاص من قيمه، والحط من قدر نبيه.

(٢) حماية النصارى من خطره، بحجب حقائقه عنهم، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

(٣) التبشير وتنصير المسلمين[2].

وإذا كان السبب الرئيسى المباشر الذى دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو سبب دينى وتبشيرى، فإننا لا ننكر أن هناك دوافع أخرى للاستشراق، قد تكون سياسية واستعمارية، وقد تكون علمية، وتجارية، وشخصية، إلا أن السبب الدينى والسبب التبشيرى هما من أكثر الأسباب عداء للإسلام وتحريفا للحق، وتزييفا للحقائق، وخلطا بين الحق والباطل.

---

(١) المصدر السابق. ص ١٩١.

(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ٧٢.

فمن باعث الحقد والتعصب تحرك كثير من المستشرقين لتحقيق عدد من الأهداف الدينية والسياسية والعلمية المشبوهة، واتخذوا لذلك نهجا فى التشكيك، والمغالطة، وتشويه الحقائق، والافتراء، والتزوير، وهو نهج لا يسلم منه أو من بعضه إلا عدد يسير منهم، كما اتبعوا لبلوغ ما يريدون كل وسيلة تتيح لهم بث سمومهم، ونشر أباطيلهم[1].

وقد اتسمت بحوثهم ودراساتهم بالظواهر الآتية:

(١) إنكار أن يكون القرآن الكريم كتابا سماويا منزلا من عند الله، وحين يُفحم المستشرقين ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية، مما يستحيل صدوره عن أمى مثل محمد ﷺ وتبطل دعواهم ببشرية القرآن الكريم، وزعمهم بأنه ليس أكثر من تعبير عن انطباع البيئة العربية فى نفس الرسول، حين تبطل دعواهم التافهة هذه يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون فى عهد الرسول ﷺ من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها، ويتخبطون فى ذلك تخبطا عجيبا[2].

(٢) التشكيك فى صحة رسالة النبى ﷺ ومصدرها الإلهى، فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبيا موحى إليه من عند الله عز وجل، ويتخبطون فى تفسير مظاهر الوحى التى كان يراها أصحاب النبى ﷺ أحيانا، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى «صرع» كان ينتاب النبى ﷺ

---

(١) انظر: عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ٢٠٠.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٢٠٠.

حينا بعد حين، ومنهم من يفسرها بمرض نفسى، وهكذا. . كأن الله ـ عز وجل ـ لم يرسل نبيا قبله، حتى يصعب عليهم تفسير الوحى. ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة، وهم كانوا أقل شأنا من محمد ﷺ فى التاريخ، والتأثير، والمبادىء التى نادى بها. كان إنكارهم لنبوة النبى ﷺ تعنتا، مبعثه التعصب الدينى الذى يملأ نفوس أكثرهم، كرهبان، وقسس، ومبشرين[1]. فالموقف الغربى من رسول الإسلام ﷺ يتشكل فى إطار دينى صرف، مترع بالتعصب، والتشنج، والانفعال، ملىء بالحقد، والغضب، والكراهية، تحيطه جهالة عمياء، متعمدة حينا، وغير متعمدة أحيانا. جعلت بين القوم، وبين شخصية الرسول ﷺ سدا يصعب اختراقه، والنتيجة ليست أبحاثا علمية أو موضوعية بحال، وإنما ذلك السيل المنهمر من الشتائم والسباب، مارسها رجال دين، من قلب الكنيسة النصرانية باتجاهاتها كافة ومارسها رجال علمانيون لا علاقة لهم بالكنيسة من قريب أو بعيد[2].

(٣) ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول، وسماوية القرآن، إنكارهم أن يكون الإسلام دينا من عند الله، وإنما هو ملفق ـ عندهم ـ من الديانتين اليهودية والمسيحية[3]. وليس لهم فى ذلك مستند يؤيده البحث العلمى، وإنما هى

---

(١) راجع الدكتور مصطفى السباعي: المستشرقون مالهم وما عليهم، ص ١٨ ط. سوريا.

(٢) الدكتور عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية ص ١٥. ط. دار الثقافة بالدوحة ١٤١٠هـ.

(٣) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ٨٥.

ادعـاءات تـستند على بـعض نقـاط الالتـقـاء بين الإسـلام واليـهـودية والمسيحية[1].

(٤) إخـضاع النصـوص الإسلامـية للفـكرة التى يفرضـونها حـسب أهوائهم، والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص[2].

(٥) تحريفـهم للنصوص - فى كـثير من الأحـيان - تحـريفا مقـصودا، وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف.

بهذه الروح بحث المسـتشرقون فى كل ما يتـصل بالإسلام والمسلمين، وقد أتاح لهم تشجـيع حكوماتهم، ووفرة المصادر بين أيديـهم، وتفرغهم للدراسـة، واختـصـاص كل واحد منهم بفن أو نـاحيـة من نواحى ذلك الفن، يفرغ له جهده فى حياته كلهـا. ساعدهم ذلك كله على أن يصبغوا بحوثهم بصـبغـة علمية، وأن يحـيطوا بثروة من الكتب والنصـوص مالم يحط به كثير من علماء المسلمين الذين يعيـشون فى مجتمعات لا يجدون فيها متسعا للتفرغ لما يتفرغ له أولئك المستشرقون[3].

ولا يفوت الـباحث أن يؤكـد أن المستشـرقين لم يتركـوا وسيلة لـنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها، ومن أهم ذلك:

---

(١) راجع عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية، ص ٢٠١.

(٢) انظر الدكتور مصطفى السباعى: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ١٨٨.

(٣) الدكتور مصطفى السباعى: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ١٨٩.

١ ـ **التدريس الجامعي:** حيث يكاد أن يكون هناك في كل جامعة أوروبية أو أمريكية معهد خاص للدراسات الإسلامية والعربية، بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق[١].

٢ ـ **جمع المخطوطات وفهرستها:** وكان هذا العمل مبنيا على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثا غنيا في شتى مجالات العلوم[٢]، ولم يقف المستشرقون عند جمعهم للتراث وصيانتهم له، بل بادروا إلى فهرسته ـ حيثما وجدوه ـ فهرسة علمية دقيقة[٣]. .

٣ ـ **التحقيق والنشر:** حيث قام المستشرقون بتحقيق عدد كبير من كتب التراث الإسلامي ونشره، وقد عرفنا الكثير من كتب التراث محققا، ومطبوعا على أيديهم، ولم يكتفوا بالتحقيق والنشر لأمهات الكتب، في السيرة والتاريخ، وعلوم القرآن، والتراجم، والملل والنحل، والنحو، والتفسير، بل تجاوزا ذلك إلى التأليف في الدراسات العربية والإسلامية، حتى بلغ ما ألفوه في قرن ونصف ـ منذ أوائل القرن التاسع عشر، حتى منتصف القرن العشرين ـ ستين ألف كتاب في التاريخ، والشريعة، والفلسفة، والتصوف، وتاريخ الأدب، واللغة العربية[٤].

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ٥٩.

(٢) المصدر السابق ص ٦١.

(٣) الدكتور سامى الصقار: دور المستشرقين فى خدمة التراث الإسلامى ص ١٥٦ المنهل عدد ٤٧١.

(٤) عمر عبيد حسنة: مقدمة كتاب الأمة رقم ٢٧ ص ٢١ قطر.

٤ ـ **الترجمة** من العربية إلى اللغات الأوروبية[١].

٥ ـ **تأليف الكتب** فى موضوعات مختلفة عن الإسلام، واتجاهاته، ورسوله، وقرآنه.

٦ ـ **إلقاء المحاضرات** فى الجامعات، والجمعيات العلمية[٢].

٧ ـ **عقد المؤتمرات، وإصدار المجلات** الخاصة ببحوثهم عن الإسلام وتاريخه، ونظمه وبلاده، وشعوبه، وتقوم على تنظيم هذه المؤتمرات، وإصدار هذه المجلات جمعيات استشراقية، فى عدد من البلاد الأوروبية[٣].

٨ ـ **عمل الموسوعات**: ومن ذلك موسوعة «دائرة المعارف الإسلامية» وقد أصدرها المستشرقون بعدة لغات، ولازالت تجدد طباعتها ويضاف إليها جديد يسيء إلى الإسلام. ولابد أن نشير إلى الأطلس «الجغرافى التاريخى للشرقين الأدنى والأوسط» الذى هو قيد الإعداد الآن، ويتوفر على إنجازه مجموعة من المستشرقين فى ألمانيا الاتحادية، ويشمل الأقطار الممتدة من السودان غربا، إلى أفغانستان شرقا. ومن جنوب بلاد العرب إلى البحر الأسود فى الشمال، وخرائطه لا تتناول المواضع الجغرافية والتاريخية بالمعنى التقليدى، بل تتجاوز إلى مواضع لم يسبق لأحد أن

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص ٥٩.

(٢) عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ٢٠٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٨.

تناولها فى الأطالس، مثل المدارس الفقهية، والفتن السياسية، وبعض مظاهر الاتصال، وأماكن العبادة، وتوزيع السكان، وسوف ينتهى فى أواسط التسعينات[1].

ولاشك أن الاستشراق كان - ولا يزال - يشكل الجذور الحقيقية، التى تقدم المدد للتنصير والاستعمار، والعمالة الثقافية، ويغذى عملية الصراع الفكرى، ويشكل المناخ الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامى، وإخضاع شعوبه.

فالاستشراق هو المنجم، والمصنع الفكرى، الذى يمد المنصرين والمستعمرين، وأدوات الغزو الفكرى بالمواد التى يسوقونها فى العالم الإسلامى؛ لتحطيم عقيدته، وتخريب عالم أفكاره، والقضاء على شخصيته الحضارية التاريخية[2].

لقد تطورت الوسائل، وتعددت طرق المواجهة الثقافية الحديثة، ويكفى أن نشير إلى مراكز البحوث والدراسات، سواء أكانت مستقلة أم أقساما للدراسات الشرقية فى الجامعات العلمية، وما يوضع تحت تصرفها من الإمكانات المادية، أو المبتكرات العلمية، والاختصاصات الدراسية، تمثل الصور الأحدث فى تطور الاستشراق، حيث تمكن أصحاب القرار من الاطلاع والرصد لما يجرى فى العالم يوميا[3].

---

(١) انظر عمر عبيد حسنة: مقدمة كتاب الأمة رقم ٢٧ ص ٢٢.

(٢) المصدر السابق، عدد ٢٧، ص ٨.

(٣) المصدر السابق، عدد ٢٧، ص ٩.

ففـى القارة الأمريـكية وحـدها حوالى عـشرة آلاف مركـز للبـحوث والدراسات، القـسم الكبيـر منها مـتخصص بشـئون العـالم الإسلامى، ووظيفة هذه المراكز: تتبع ورصد كل ما يجرى فى العالم، ومن ثم دراسته وتحليله مقارنا مع أصوله الـتراثية التاريخية، ومنابعه العـقدية، ثم مناقشة ذلك مع صـانعى الـقـرار؛ لتـبنـى على أسـاسـه الخطـط، وتوضع الاستراتيجيات الثقافية، والسياسية، وتحدد وسائل التنفيذ[1].

وإن الباحث فى مؤسسـات الاستشراق، ووسائلها المخـتلفة، يجد أنها استطاعت أن تؤثر فى العـقلية الإسلاميـة، فهذه دائرة المعارف الإسـلامية تعد أكـبر مصـدر للمعلومات، والحـقائق الإسلامـية، وأثمن زخيـرة لها وتعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم أساسا للمعلومات الإسلامية، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصها وروحها[2].

ولقد نجحت العقلية الأوروبية الاستشراقية، فى فرض شكليتها وآلياتها على التحـقيق، والتقـويم، والنقد والسيـطرة على مصادر التـراث العربى الإسلامى. ويمكن القـول بأن معظم الكتابات العـربية المعالجة للتـراث قد سارت على هذا النهج فى التاريخ، والأدب وغيره.. ولم تتجاوزه إلا فى القليل النادر، وانتهت إلى إيجاد ركائز عربية معـبرة عنها، ومتبينة لوجهة نظرها، ومدافعـة عن المواقع الثقافيـة التى احتلتها، حتى فى الجـامعات،

---

(١) المصدر السابق عدد ٢٧، ص ٩.

(٢) الشيخ أبو الحسن الندوى: الإسلام والمستشرقون، مجلة المنهل، عدد ٤٧١ ص ٢٦.

والمؤسسات العلمية لا يزال الخضوع والاحتكام للقوالب الفكرية التى اكتسبها بعض المثقفين العرب، من الجامعات الأوروبية[1].

وبجانب كل هذا فإن الاستشراق يذهب إلى محاولة إلغاء النسق الفكرى الإسلامى، ومحاولة تشكيل العقل السليم، وفق النسق الغربى الأوروبى، وإنجاب تلامذة من أبناء العالم الإسلامى؛ لممارسة هذا الدور والتقدم باتجاه الجامعات والمعاهد، ومراكز الدراسات، والإعلام، والتربية، فى العالم الإسلامى، لجعل الفكر الغربى والنسق الغربى هو المنهج، والمرجع، والمصدر، والكتاب[2].

ومما يلحظه الباحث بوضوح: أن عمليات الاستشراق والتغريب لم تستسلم، ولم تلق السلاح.. لكن لما أعياها السعى، فبدل أن تقر بفساد نظرياتها، وطروحاتها، وعدم إمكانية القبول لها فى العالم الإسلامى، تحاول اليوم أن تعتبر أن المشكلة والعلة فى بنية العقل المسلم أصلا؛ لتأتى على البنيان الإسلامى من القواعد، وترسب فى النفوس أن السبب فى التخلف، والعجز، والتخاذل الثقافى، وعدم القدرة على الإبداع، وقبول الفكر الغربى، هو فى بنية هذا العقل، وتكونه، وميراثه الثقافى.

فهو عقل مولع بالجزئية، وعاجز عن النظرة الكلية للأشياء، وهو عاطفى يحب الإثارة والانفعال، ويعجز عن الفعل، وهو محكوم أيضا

---

(١) الأستاذ عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة العدد رقم ٢٧ ص ١٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦.

بموروث ثقافى لا يستطيع الفكاك منه. فهو لا يفكر بطلاقة، وحرية؛ لأنه محكوم بوحى مسبق، وهو يقوم على منهج التـفكير الاستنتاجى، ويعجز عن التفكير الاسـتقرائى، وهو معجب بالمنهج البيـانى، وعاجز عن المنهج البرهانى، وهو يخلط بين الواقع المعاش، والمثال الخـيالى، وصاحبه يحب الثأر، ويغـرق فى الملذات، وأن الإسلام الذى يكون هذا الـعقل هو دين أمر ونهى، وزجر وكبت للحرية، وإلغـاء للاجتهاد، الأمر الذى أدى إلى التقليد وفقدان الشخصية، والقدرة على الإبداع[1].

ولابد أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا، ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامى عن مـعرفة ذاته، فالاستشراق فى حد ذاته كان دليل وصاية فكرية، ويوم أن يعى العالم الإسلامى ذاته، وينهض من عجزه، ويلقى عن كاهله أثقال التخلف الفكرى والحضارى، يومها سيجد الاستشراق نفسـه فى أزمة وخاصة الاستشراق المشتـغل بالإسلام، ويومها لن يجد الجمهور الذى يخاطبه، لا فى أوروبا، ولا فى العالم الإسلامى. ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا ـ أيا كان هذا ـ أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا[2].

وإذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغـلال الوصاية الفكرية، فإن علينا

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧، ٢٨.

(٢) الدكتور مـحمود حمدى زقزوق: الاسـتشراق والخلفية الفكرية للصـراع الحضارى، ص ١٢٧، ١٢٨.

من ناحية أخرى، أن نتحرر من عقدة التخلف التى تسيطر علينا فى جميع مناحي حياتنا، والتى تسد علينا منافذ الأمل، فى الخروج من أزمتنا، فقد تحررنا من الاستعمار العسكرى، ولكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار، ولهذا فإن نظرتنا لكل ما يأتى من الغرب هى نظرة التقدير، والإكبار، حتى وإن كان هذا الذى يرد إلينا متمثلا فى أزياء غريبة عن أذواقنا، وتقاليدنا[1].

وحتى نكون فى مستوى الحوار الفكرى، والتبادل المعرفى، ونوقف فعلا الغزو الفكرى والاختراق الاستشراقى، لابد أن نكون قادرين على امتلاك الشوكة الفعلية.. أن نكون قادرين على الإنتاج الفعلى لمواد ثقافية تمثل ثقافتنا، وتأتى استجابة لها، وتغرى الناس بها، وبذلك وحده نكون فى مستوى الحوار، والتبادل المعرفى، فالمواجهة لا تكون بإدانة الآخرين، والنظر إلى الخارج دائما، وإنما تبدأ حقيقة من النظر إلى الداخل أولا لملء الفراغ، بعمل بنائى مستمر، وتحصين الذات[2].

وقد لا يكون المرء مجانبا للصواب إذا قال: إننا إذا لم نتصد للتيار الاستشراقى بكل قوة، فسوف نتعرض للانسلاخ والذوبان لا محالة، والمعركة بين الاستشراق والإسلام معركة فكرية هائلة جند لها المستشرقون كل المعاول التى تحاول أن تهزم المسلمين، وتبعدهم عن إسلامهم.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٢) عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الأمة، العدد رقم ٢٧، ص ٢٩.

وإن الإنسان الذى يتابع النشاط الاستشراقى قد يلحظ بوضوح أن هذا النشاط يمثل قمة التحدى للفكر الإسلامى، وقد يكون معروفا لدى الباحثين: «أن التيارات الفكرية الأجنبية القديمة ـ التى كانت تمثل تحديا للإسلام، والفكر الإسلامى الأصيل، فى عصور الإسلام الزاهرة ـ كانت حافزا للمسلمين، فى تلك الأيام الخوالى، للوقوف أمامها بقوة وصلابة»[1].

وقد رأى الإمام الغزالى ـ فى عصره ـ أن التيارات الفلسفية يتردد صداها فى الأرجاء، وأنها تصول، وتجول، فى تحد سافر للفكر الإسلامى، والمسلمين، فلم يقف الغزالى موقف المتفرج، ولم يسب، ويشتم، ويصرخ، ويولول، ولم يرغب أن يترك الأمر، ويقول: لا شأن لى به، ولكنه عزم على خوض المعركة، فأعد العدة، واتخذ لها الأدوات من العلم والمعرفة بما عند هؤلاء.

وقد رأى أن يتقن الفلسفة، ويتفرغ لقضاياها، ويتعرف على مقاصد الفلاسفة، واستطاع فى دقة وإتقان أن يخرج كتابه: «مقاصد الفلاسفة» وكان ما قام به هو الخطوة الأولى فى منهج المواجهة للفكر الفلسفى، ثم جاءت الخطوة الثانية بعد ذلك، بالكشف عما فى «مقاصد الفلاسفة» من تناقض للفكر، ومخالفة للمنطق والعقل، وتعثر فى المقاصد، فكان كتاب «تهافت الفلاسفة» يمثل قمة المواجهة.

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٢٤.

واستطاع بهذا المنهج النقدى أن يواجه المعركة، ويخوض غمارها فى قوة، ودقة. ويقول الغزالى معبرا عن ذلك المنهج: «ثم إنى ابتدأت - بعد الفراغ من علم الكلام - بعلم الفلسفة، وعلمت يقينا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوى أعلمهم فى أهل ذلك العلم، ثم يزيد عليه، ويجاوز درجته، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم، من غوره وغائله، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقا، ولم أر أحدا من علماء الإسلام، صرف عنايته وهمته إلى ذلك»[1].

وإذا كان الغزالى قد استطاع أن يواجه الفكر الفلسفى فى عصره، فإن الأمر بالنسبة للاستشراق يحتاج إلى جهود أفراد ومؤسسات، فمكتبات العالم مليئة بإنتاج المستشرقين، وبشتى اللغات الإنسانية، وهناك عشرات المجلات، ومئات المؤسسات التى ترعى الاستشراق، وتعمل لخدمة المستشرقين، وهناك أيضا آلاف العلماء، والباحثين، من المستشرقين، الذين يتفرغون لبحوثهم ودراساتهم، وهناك المؤتمرات الاستشراقية العالمية، التى تعقد حسب الحاجة فى العواصم العالمية.

ولقد كان لحركات الفكر الاستشراقى منذ القرن الثامن عشر قوة دفع، ورواج واستقطاب، أثارت اهتمام رجال الفكر الإسلامى، بما كتبه

---

(١) الإمام الغزالى: المنقذ من الضلال، ص ٩٢، تقديم الدكتور عبد الحليم محمود، ط. دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٩٨٥م.

المستشرقون عن الإسلام فى الكتب، والمجلات، والموسوعات، وعن مصدريه الأساسيين: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعن النبى الذى بعثه الله بهذا الدين الحنيف[1]، ومواجهة التحديات الاستشراقية ضرورة لابد منها، إن كنا نريد الحفاظ على عقائدنا التى جاء بها الإسلام، وكنا نريد الحفاظ على ذاتينا، وشخصيتنا، ومواجهة الاستشراق فى مجال العقيدة الإسلامية يحتاج ـ كغيره ـ إلى بذل جهود صادقة، ومخلصة لرد هذه الطعون المفتراة، حتى لا يأتى زمن نجد أنفسنا فيه بألسنة غير ألسنتنا، نردد ما يقوله المستشرقون دون وعى أو دون أن نحس أننا مسلمون لنا عقائدنا وشخصيتنا.

ومنهج نقد الاستشراق فى مجال العقيدة لابد أن يقوم ـ من وجهة نظرنا ـ على الأصول الأساسية التالية:

أولا: استيعاب شامل للإنتاج الاستشراقى فى مجال العقائد الإسلامية، وهذا الاستيعاب لابد منه، ومن حق الأمة الإسلامية أن يعرف أبناؤها ما يقوله الآخرون عنها فى عقائدها وغير عقائدها، ليكون أبناء الأمة على بينة مما يقوله ـ أو يتقوله ـ هؤلاء المستشرقون..

ويلزم هذا الاستيعاب الشامل تحقيق الأمور التالية:

---

(١) الدكتور التهامى نقرة: القرآن والمستشرقون، ص ٢١، من كتاب «مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية ـ الجزء الأول، ط مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض ١٩٨٥م.

(١) القيام بحصر شامل لكتابات المستشرقين فى مجالات عقائد المسلمين فى القرنين التاسع عشر، والعشرين، بصفة أساسية، باللغات: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية، والإيطالية، والروسية، ويشمل هذا الحصر: الكتب، والمجلات، والدوريات.

والقيام بعملية حصر هذه الأعمال الاستشراقية فى مجال العقائد يحتاج إلى خبراء وعلماء مسلمين متخصصين، ويحتاج إلى عدد من المساعدين فى مجال كل لغة نأخذ منها.

(٢) لابد من توفير كل الأعمال الاستشراقية المشار إليها، عن طريق الشراء، إذا كانت متوفرة، أو عن طريق التصوير، إذا لم يمكن شراؤها، وتشكل هذه الأعمال مكتبة استشراقية تكون تحت أيدى الخبراء والعلماء.

(٣) يقوم جهاز متعاون من الخبراء فى اللغات المختلفة بتحضير المادة وتصنيف الموضوعات، وضم المادة التى يتكرر الحديث عنها فى لغات مختلفة تحت موضوع واحد.

(٤) تقدم المادة للعلماء الذين سيقومون بإعداد النقود العلمية، ويراعى عند تقديم المادة للعلماء أن تترجم لهم الأفكار الأساسية للقضايا المعروضة؛ ليكون عند العلماء تصور شامل لكل ما قيل حول القضية المطروحة، وحتى يغطى التناول للموضوع وجهات النظر التى قيلت فيه[1].

(٥) تذكر مع المادة التى تقدم للعلماء أسماء المستشرقين الذين تناولوها

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٣٤، بتصرف وإضافة واختصار.

وأزمنتهم، وبيئاتهم، والدوافع وراء مقولاتهم.

(٦) العمل على بيان المصادر، التى اعتمد عليها المستشرقون فى كتاباتهم عن عقائد المسلمين، وهل هى مصادر إسلامية أصيلة فى الموضوع أم مصادر غير إسلامية؛ لأن بعض المستشرقين يعتمد على ما ذكره المستشرقون السابقون، كمصدر أساسى، دون الرجوع إلى كتب المسلمين.

(٧) بيان المنهج الذى التزم به هؤلاء الكاتبون فى العقائد؛ لأن بيان مناهج المستشرقين سوف يكشف لنا عن أخطاء جسيمة فى المنهج والنتائج، والدارس لمقولات المستشرقين فى العقائد الإسلامية يجد فى هذه الكتابة تغربا عن المسلمات، وخروجا صريحا على البداهات، وما يمكن اعتباره محاولات متعمدة لإصابة هذه المسلمات والبداهات بالجروح والكسور، وهى لن تفعل فعلها فى يقين المسلم إلا فى حالات معينة، بينما نجدها تدفعه فى أغلب الحالات وأعمها إلى الاشمئزاز، والنفور.

هذا مع أن معالجة واقعة تمتد جذورها إلى عالم الغيب، وترتبط أسبابها بالسماء، ويكون فيها الوحى همزة وصل مباشرة بين الله سبحانه ورسوله الكريم، ويتربى فى ظلالها المنتمون على عين الله ورسوله ليكون تعبيرا حيا عن إيمانهم، وقدوة حسنة للقادمين من بعده، مواقع كهذه لا يمكن بحال أن تعامل كما تعامل الجزئيات والذرات والعناصر فى مختبر للكيمياء. أو كما تعامل الخطوط والزوايا والمساحات على تصاميم المهندسين، بل ولا كما تعامل الوقائع التاريخية التى لا ترتبط بأى بعد

دينى أصيل[1].

إننا هنا بمواجهة تجربة من نوع خاص، وشبكة من العوامل والمؤثرات تند عن حدود مملكة العقل، وتستعصى على التحليل المنطقى الاعتيادى المألوف، ومن ثم فإن محاولة قسرها على الخضوع لمقولات العقل الصرف، ومعطيات المنطق المتوارثة، لا يقود إلى نتائج خاطئة حينا ولا تستعصى عليه بعض الظواهر حينا آخر فحسب، بل إنه يقوم بما يمكن اعتباره جريمة قتل بشكل من الأشكال، أو محاولة لتفحص الجسد البشرى، كما لو كان فى حالة سكون مطلق بعيدا عن تأثيرات الروح وتعقيدات الحياة[2].

وإن الدين، والغيب، والروح، والوحى، والقضاء، والقدر، وما اتصل بهذا من أمور العقائد، ليس بمقدور الحس أو العقل أن يدلى بكلمته فيها إلا بمقدار.. وتبقى المساحات الأكثر عمقا وامتدادا بعيدة عن حدود عمل الحواس وتحليلات العقل والمنطق.

ثانيا: نقد المنهج الذى التزم به المستشرقون فى معالجة قضايا العقيدة الإسلامية، ونقد المنهج هو خطوة حاسمة وضرورية قبل البدء فى نقد ما جاء به من أخطاء وافتراءات فى مجال العقيدة؛ لأن: «مناقشة أى من المستشرقين على مستوى التفاصيل والجزئيات العقدية لا تغنى شيئا؛ لأنها

---

(١) الدكتور عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية، ص ٦، ط. دار الثقافة بالدوحة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٢) المصدر السابق، ص ٦.

ستكون بمثابة نقد موقوت يتحرك على السطح، ويستهلك نفسه فى الجزئيات، دون أن يبحث فى الجذور العميقة التى تظل تنبت الشوك والحسك.

والجذور العميقة هى المنهج الخاطىء الذى تقوم عليه أبحاث هؤلاء المستشرقين، فإذا استطعنا أن نضع أيدينا على عيوب المنهج وشروخه استطعنا معرفة المنبع الذى يتمخض عنه تيار الأخطاء الموضوعية، وخلخلة الأسس التى جاءت بهذه الثمار المرة، واقتلاعها[١].

ثالثا: نقد الأخطاء التى وقع فيها المستشرقون فى مجال العقيدة. وعملية نقد هذه الأخطاء، والمزاعم، تقتضى منا عرض الشبهات، والمقولات، ونقدها نقدا علميا، بعيدا عن النزعات الهجومية، حتى يكون لهذا العمل العلمى أثره الإيجابى لدى المثقفين من المسلمين، وغير المسلمين.. وحتى يكون كذلك دافعا للمستشرقين إلى إعادة النظر فى أقوالهم، وعونا لهم على تصحيح اتجاهاتهم، وفى النهاية يكون هذا العمل بمثابة تعريف بالإسلام، لكل راغب فى التعرف عليه[٢]. ولا يخفى أن العمل العلمى القائم على النقد السليم، يحمل العمل البنائى الذى يأخذ الناس جميعا إلى العلم، والمعرفة. والعملية النقدية الهادفة جديرة بالممارسة، والمتابعة، لإثراء الفكر الإنسانى بكل حق، وبكل مفيد..

---

(١) المصدر السابق، ص ٨.

(٢) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٣٢.

والنقد المطلوب لشبهات وأخطاء المستشرقين لابد وأن يتجاوز الدفاع المتشنج إزاء كل ما طرحه أولئك الذين تخصصوا فى الاستشراق.

رابعاً: إبراز ما ردده بعض المستشرقين فى نقدهم لمستشرقين آخرين، فإن هذه النقود العلمية التى ذكرها المستشرقون لها دلائلها، وقد تكون أبلغ فى باب النقد، والتصدى، والمواجهة، وما أكثر ما جاء عن المستشرقين فى باب النقد. إن ما ذكره بعض المستشرقين فى هذا الباب يشكل ثروة مفيدة، وليس من الكياسة أن نبتعد عن المنصفين..

خامساً: إثبات أن المصادر التى اعتمد عليها رجال الاستشراق غير أصيلة فى الموضوع. وقد رأى الباحثون أن المستشرقين قد يرجعون إلى آراء مستشرقين سابقين قد أعماهم التعصب، فنفثوا سمومهم فيما كتبوه، وبعضهم يرجع إلى مصادر لا تتصل بالعقيدة الإسلامية من قريب أو بعيد. وبعضهم يعتمد على كتاب ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وغيرهما من الكتب التى تجرى مجراهما.

سادساً: يحسن أن تحاط النقود ببيان ما وقع فيه بعض المستشرقين من أخطاء علمية، أو لغوية، أو تاريخية، عن جهل، أو عن سوء فهم وضيق نظر، أو عن شطط فى الافتراضات[1].

سابعاً: أن تقوم النقود، التى توجه إلى الاستشراق - فى مجال العقيدة على منهج يضم الأدلة العقلية، والأدلة النقلية؛ لأن نقد الاستشراق هو

---

(١) الدكتور التهامى النقرة: القرآن والمستشرقون «مناهج المستشرقين» ج١ ص ٢٢.

بالدرجة الأولى للمسلمين، حتى لا يخدعوا بهذه البحوث والدراسات التى تصل عن طريق الاستشراق، وحتى لا ينبهروا بهذا التيار.

كما أن نقد الاستشراق هو للمستشرقين، وقد لا يعترفون بالدليل النقلى، فكان لابد من الدليل العقلى المقنع الذى يجعلهم يفكرون كثيرا قبل أن يقدموا على تناول عقائد المسلمين بغير المراد.

ثامنا: أن تكون النقود التى توجه إلى الاستشراق فى مجال العقيدة، شاملة لآراء السلف والخلف فى مسائل العقيدة، من الأسماء، والصفات، والتشبيه والتأويل، والقضاء، والقدر، والحرية، والجبرية، وقضية الألوهية، والإسلام، والإيمان، والنبوة، والرسالة، والوحى، والمعجزة، والبعث، وما جرى مجرى هذا من مسائل العقيدة.

ومواجهة الفكر الاستشراقى فى مجال العقيدة بما ذكره السلف والخلف فيه تضييق وحصار لآراء المستشرقين.

تاسعا: لابد من تفرغ عدد كبير من علماء الأمة الإسلامية ـ المتخصصين، والذين لهم اتصال بالبحوث والدراسات الاستشراقية ـ للقيام بهذه النقود العلمية واستخراجها على ما ينبغى.

عاشرا: أن تتوفر لهذا العمل الجدية، والجهود المخلصة، لتتمكن الأمة من المواجهة، والعمل.

وهناك أعمال أخرى تتصل بمنهج نقد الاستشراق فى مجال العقيدة،

وهى ضرورية ليكون هناك تكامل وحسم فى المعالجة.

ونذكر من تلك الأعمال ما يلى:

١ ـ أن يصاحب النقود التى توجه للاستشراق فى مجال العقيدة عمل موسوعة الرد على المستشرقين، وموسوعة الرد شاملة لكل ما تناوله الاستشراق، وفى هذا يقول الدكتور محمود حمدى زقزوق: «إن المواجهة الفكرية الجادة هى الطريق الصحيح لمواجهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين، ومن أجل ذلك ينبغى أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية، ونأخذ فى الحسبان أن لها آثارا كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين فى العالم الإسلامى، وفى العالم الغربى على السواء، ولهذا لابد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة. ولما كان الفكر الاستشراقى مكتوبا بشتى اللغات الحية، ومنتشرا انتشارا واسعا على مستوى عالمى، فمواجهته لابد أن تكون على المستوى العالمى نفسه[1].

وقد دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى القاهرة، فى نهاية عام ١٩٧٩م إلى ندوة لمناقشة موضوع إعداد «موسوعة للرد على المستشرقين» وقد حضر الندوة عدد يزيد على عشرين من العلماء والمفكرين المهتمين بهذا الموضوع، وقد أعدت التقارير وقضى الأمر ونامت الفكرة[2].

ولا يفوت الباحث أن يذكر أن: موسوعة الرد على المستشرقين تختلف

---

(١) الدكتور محمود حمدى زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ص ١٣١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣١.

عن «منهج نقد الاستشراق فى مجال العقيدة والسنة وغيرهما» لأن الموسوعة شاملة للفكر الإسلامى.

٢ ـ لابد من عمل دائرة معارف إسلامية، يقوم بعملها العلماء المسلمون «مشروع إصدار دائرة معارف إسلامية من بين الأولويات العلمية الملحة، فلا يجوز أن نظل نقتات فكريا من دائرة المعارف الإسلامية التى قام بإعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية. فقد تجاوزها المستشرقون وانتهوا منذ بضع سنوات من إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة، وواجبنا نحن المسلمين أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية، واللغات الأوروبية، تقف على الأقل فى مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين، تخطيطا وتنظيما، وتتفوق عليها علميا، وتنقل وجهة النظر الإسلامية فى شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء»[1].

وقد لا يكون المرء مجانبا للصواب إذا عرف أن تقاعس المسلمين حتى اليوم عن عمل «دائرة معارف إسلامية» يدل على الضعف الذى يدب فى النفوس، وأن مؤتمرات العلماء المسلمين، وقراراتهم تمثل مظاهرة صاخبة، هاجت وماجت، ثم نامت... إن مشكلتنا أننا نتكلم أكثر مما نعمل، وإن شئت فقل: إننا نتكلم ولا نعمل.

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٤٢.

ومهمتنا ـ لنواجـه الاستشراق ـ أن نعمل على إصدار عـدة موسوعات ودوائر مـعارفٍ فى التـاريخ، والعقـائد، والأدب، والأخلاق، والفـقه، والحديث، ومخـتلف العلوم، والفنون؛ لأن المعركة فكرية قوامهـا انتشار الكلمة.

٣ ـ من الضرورى لمؤازرة منهج نقد الاسـتشراق فى مجال العـقيدة أن تكون هناك دوريات، ومـجلات، ونشـرات بمخـتلف اللغات تتناول مـا يتصل بمواجهة الاستشراق؛ لمحاصـرة الفكر الاستشراقى، وصد هجومه، والوقوف أمام زحفه.

٤ ـ من الضرورى لنجاح التصدى لسـوء ما جاء عن بعض المستشرقين أن تكون هناك مؤسسات علمية، وأكاديمية، ودعوية، ترعى شئون النقد، والمواجهة وإعداد الدوريات، والمجلات والمؤتمرات.

وفى إمكان الأمة الإسلامية أن تُوجِد الهيـئات العلمية العالمية، وتهيء الأجـواء المناسـبـة، الـتى تكفل نجـاح المواجـهـة والتـــصـدى للزحف الاستـشراقى، وذلك أن أمتنا الإسـلامية حبـاها الله ـ سبحـانه وتعالى ـ بأعظم النعم، كـما بها من الجـامعـات ما يمكن من وجود آلاف الـعلماء المتخصصين فى مختلف العلوم والفنون.

٥ ـ أن نمد يد الصداقة والمودة للهيئات الاستشراقية العالمية، وأن يكون لنا دور بالمشاركة فى المؤتمرات الاستشراقية التى تعقد فى مختلف العواصم العالمية.

وهذه المشاركة لها أثر إيجابى فى نفوس المستشرقين، فقد تجعل المستشرقين يشعرون بأننا لسنا منعزلين، وأننا نريد أن نُفهمهم من نحن، ومن نكون؟ ومن الكياسة أن ندعو بعض المستشرقين المنصفين لفكرنا وتراثنا إلى مؤتمراتنا وندواتنا.

٦ ـ أن تقيم كل جامعة فى مجتمعات الأمة الإسلامية معهدا للدراسات الاستشراقية، يمنح الدارسون فى هذا المعهد درجات علمية عالمية، وقد لا يتصور الإنسان أن الأمة الإسلامية وقد تعددت جامعاتها المختلفة، لم تعمل بعد على إنشاء معاهد أو أقسام للدراسات الاستشراقية، فى حين أننا نجد أنه ما من جامعة فى أوروبا أو أمريكا إلا وملحق بها معاهد وأقسام لدراسة الإسلام والمسلمين، حتى أصبحنا بحركاتنا وسكناتنا واقعين تحت سيطرة وأقوال وآراء الاستشراق.

٧ ـ أن تعمل كل جامعة، وكل معهد، وكل مؤسسة على تفرغ عدد معين من أساتذتها للدراسات الاستشراقية، فى مواضيع محددة.

٨ ـ أن يكون هناك تنسيق وتخطيط بين المؤسسات الإسلامية، وتكامل فى الموضوعات المطروحة.

وبهذه الأعمال العلمية نستطيع أن نتصدى للتحديات التى تواجه الأمة الإسلامية، وبهذه الأعمال نستطيع أن نكشف فى وضوح أن جهود المستشرقين لا تستند على حجة، ولا عقل، ولا منطق، بل هى جهود مغرضة، الهدف منها النيل من الإسلام وأهله، وقد اتسمت هذه الجهود

بالكذب والافتراء، والمغالطة.

ومن يتصفح كتب المستشرقين وموسوعاتهم ودوائرهم.. يجد مئات من الاتهامات والأباطيل، وآلاف التخريجات التى لا صلة لها بالعلم.

وإذا كان المسلمون يرون أنهم فى صحوة إسلامية، ووعى إسلامى، فإن من مبادىء الصحوة الإسلامية وأولياتها: مواجهة الاستشراق والمستشرقين، حتى لا يأتى وقت تكون فيه هذه الصحوات إرادة استشراقية، وتجارب مرادة، تجعل المسلمين يهتمون بالأشكال والقشور، وكل ما من شأنه أن يبعث على الجمود، والتأخر، والتخلف.

إن أمتنا تتطلع إلى غد مشرق، والتطلع يحتاج إلى علم وعمل وجهود بناءة تكون علامات مضيئة فى الطريق.

المصادر والمراجع

١ ـ ابن نبى مالك	إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث ط. دار الإرشاد، بيروت ١٩٦٩م.
٢ ـ ابن منظور المصرى الأفريقى	لسان العرب. ط بيروت.
٣ ـ الأعظمى سعيد	الإسلام والمستشرقون لماذا؟ كتاب الإسلام والمستشرقون ط عالم المعرفة ١٤٠٥هـ.
٤ ـ أسد محمد	الإسلام على مفترق الطرق. ط دار العلم للملايين ١٩٨٧ بيروت
٥ ـ البشير الشيخ أحمد	الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام. ط بيروت.
٦ ـ البهى الدكتور محمد البهى	المبشرون والمستشرقون، حولية كلية الدعوة بالأزهر ١٤٠٦هـ.
٧ ـ البهى الدكتور محمد	الفكر الإسلامى الحديث. ط دار الفكر، بيروت.
٨ ـ الجندى أنور	الإسلام فى وجه التغريب. ط دار الاعتصام. القاهرة.
٩ ـ الجندى أنور	إطار إسلامى للفكر المعاصر. ط المكتب الإسلامى ١٩٨٠، بيروت.

المؤلف	الكتاب
١٠ ـ الجندى أنور	شبهات التغريب فى غزو الفكر الإسلامى. ط المكتب الإسلامى ١٤٠٣هـ.
١١ ـ حسن الدكتور محمد إبراهيم	الاستشراق وأثره على الثقافة العربية. مجلة رسالة الخليج، عدد رقم ٢٣ ط الرياض. السعودية.
١٢ ـ حسين الدكتور محمد محمد	الإسلام والحضارة الغربية. ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ.
١٣ ـ الخربوطلى على حسن	المستشرقون والتاريخ الإسلامى. ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٦م.
١٤ ـ الخطيب عمر عودة	لمحات فى الثقافة الإسلامية. ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧م.
١٥ ـ خليل الدكتور عماد الدين	المستشرقون والسيرة النبوية. ط دار الثقافة. قطر ١٤١٠هـ.
١٦ ـ الديب الدكتور عبد العظيم	المستشرقون والتاريخ. مجلة البعث الإسلامى ١٤٠٢هـ، الهند.
١٧ ـ رضا الشيخ أحمد	معجم متن اللغة. ط. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٨م.
١٨ ـ رودونسون مكسيم	«تراث الإسلام» سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م.
١٩ ـ زقزوق الدكتور محمود حمدى	الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، ط. كتاب الأمة، قطر ١٤٠٤هـ.
٢٠ ـ السباعى الدكتور مصطفى	السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى. ط المكتب الإسلامى، بيروت ١٣٩٨هـ.
٢١ ـ السباعى الدكتور مصطفى	الاستشراق والمستشرقون. ط المكتب الإسلامى ، بيروت ١٩٧٥م.

٢٢ ـ السايح العلاقة بين الاستشراق والتبشير،
الدكتور أحمد عبد الرحيم حولية كلية أصول الدين بالمنوفية ١٩٨٩م.

٢٣ ـ السايح هذا هو الإسلام.
الدكتور أحمد عبد الرحيم ط دار الثقافة، الدوحة ١٩٨٩م.

٢٤ ـ سمايلوفتش فلسفة الاستشراق.
الدكتور أحمد ط دار المعارف بمصر.

٢٥ ـ ضياء الدين الاستشراق، مجلة كلية الشريعة.
الدكتور أحمد مكة المكرمة ١٤٠١هـ.

٢٦ ـ طه من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد.
الدكتورة عزية مجلة الشريعة. ط. الكويت ١٤٠٩هـ.

٢٧ ـ الطهطاوى التبشير والاستشراق أحقاد وحملات.
المستشار محمد عزت ط مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٣٩٧هـ.

٢٨ ـ العقاد أثر العرب فى الحضارة الأوروبية.
عباس العقاد ط دار المعارف بمصر

٢٩ ـ العفيفى المستشرقون ط.
نجيب دار المعارف بمصر.

٣٠ ـ فروخ الاستشراق فى نطاق العلم
الدكتور عمر وفى نطاق السياسة كتاب (المستشرقون والإسلام) الهند.

٣١ ـ الفيروزابادى القاموس المحيط
محمد يعقوب ط القاهرة.

٣٢ ـ القارى المستشرقون فى الميزان «محاضرات
الشيخ عبد العزيز الجامعة الإسلامية» المدينة المنورة ١٣٩٣هـ.

٣٣ ـ الكيلانى الإسلام والقوة المضادة.
الدكتور نجيب ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ.

٣٤ ـ اللبان	المستشرقون والإسلام.
الشيخ إبراهيم عبد المجيد	ط الأزهر ١٩٦٨م.
٣٥ ـ مجلة المنهل	الاستشراق والمستشرقون، ١٤٠٩هـ
عدد متخصص	السعودية.
٣٦ ـ محمود	أوروبا والإسلام.
الدكتورد عبد الحليم	ط منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
٣٧ ـ مجمع اللغة العربية	المعجم الوسيط
القاهرة	ط القاهرة.
٣٨ ـ الندوى	الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار
الشيخ أبو الحسن على	الإسلامية. ط دار العلم، الكويت ١٩٨٣م.
٣٩ ـ النقرة	القرآن والمستشرقون (مناهج المستشرقين) ط مكتب التربية لدول
الدكتور التهامى	الخليج العربي ١٩٨٥م.

الفهـــــرس

الصفحة

هذا الكتاب

فإن الاستشراق أصبح علما له مدارسه المتعددة، ومناهجه المختلفة، وكلها تسعى إلى محاولة اختراق الفكر الإسلامى والتأثير عليه، وسلخ المسلمين عن شخصيتهم الإسلامية.

ولقدقام الاستشراق وتربى فى أحضان الصليبية والصهيونية، وفى خدمة الأهداف الاستعمارية للإجهاز على مقومات الأمة الإسلامية حتى لا تقوم لها قائمة.

وإنه عن الكياسة التى وصف النبى ﷺ المؤمنين أن تدرك الأخطاء التى تحدق بالمجتمعات الإسلامية، وأن نواجهها ببناء شخصيتنا الإسلامية والعمل على توحيد صفوف الأمة بمواجهة الفكر الاستشراقى بعمل مدروس قائم على منهجية دقيقة تضع علماء الأمة الإسلامية أمام مسئولياتهم.

والدار المصرية اللبنانية أداء لواجبها المقدس فى خدمة الإسلام والمسلمين تقدم هذا الكتاب إلى قرائها الكرام راجية عموم نفعه، وتنبيه الغافلين، وإيقاظ الهمم.

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

الناشر

تصميم: محمد طنطاوى

الدار المصرية اللبنانية
١٦ عبد الخالق ثروت ــ القاهرة
تليفون: ٣٩٣٦٧٤٣ ــ ٣٩٢٣٥٢٥